مجلة جامعة البعث

سلسلة العلوم التاريخية والجغرافية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 45 . العدد 1

1444 هـ - 2023 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. محمود حديد	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.
2. دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .
3. دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .
4. دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
نعوت المسلمين في بلاد الشَّام من خلال رحلة الإنكليزي سايلوف والألماني ثيودوريش (*496- 559 هـ/ 1102- 1164*) (دراسة مقارنة)	د. أحمد عبد الكريم الدالي	74-11
الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي دراسة سوسيولوجية ميدانية على مجموعة من النساء العاملات في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس	أروى الدقماق د. عادل العلي	108-75
متطلبات الزواج والسن المناسب له في ظل المنعكسات الاقتصادية للحرب على سورية دراسة ميدانية على عينة من سكان حي الرميلة في مدينة جبلة	ذكريا عباس د. إيفا خرما د. مدى شريقي	146-109
نكبة البرامكة قراءة في الأسباب	رشا عمران د. وفاء صارم د. شيرين حمودي	174-147

نعوت المسلمين في بلاد الشَّام

من خلال رحلة الإنكليزي سايلوف والألماني ثيودوريش

(496- 559هـ/ 1102- 1164)

(دراسة مقارنة)

الدكتور: أحمد عبد الكريم الدالي – عضو هيئة تدريسية – قسم التاريخ

كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة البعث

مُلخَّص البحث باللغة العربية

تُعدُّ رحلة الإنكليزي سايلوف والألماني ثيودوريش، من أهم الرحلات الأجنبيَّة التي تناولت بالوصف بعض الأماكن في بلاد الشَّام، واعتنت بتقديم وصف لكافة مظاهر الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والحضارية العمرانية.

ومن خلال البحث سيتمُّ التعريف بالرحَّالتين سايلوف، وثيودوريش، وخط سير رحلتهما، ومواردهما، وأهمية رحلة كل واحد منهم، ثمَّ تقديم وصف لأهم النعوت التي أطلقها هؤلاء على العرب المسلمين في بلاد الشام – دراسة مقارنة.

الكلمات المفتاحية: (رحالة، إنكليزي، ألماني، الدوافع، النعوت، مُقارنة، مُعتقدات، أخلاق، العرب المسلمين).

Abstract

The journey of the Englishman Saylwf and the German Theodorish is considered one of the most important foreign trips that dealt with the description of some places in the Levant, and took care to provide a description of all aspects of social, economic, political, and urban life.

Through the research, the two travelers Saylwf and Theodorish will be introduced, their itinerary, their resources, and the importance of each one of them's journey, then a description of the most important epithets that they called the Muslim Arabs in the Levant will be presented – a comparative study.

Keywords: (traveler, English, German, motives, epithets, comparison, beliefs, morals, Muslim Arabs).

مقدمة:

شَغِلَ الحديث عن بلاد الشام، والأماكن المُقدَّسَة منها بشكلٍ خاص حيّزاً كبيراً من كتابات الرحَّالة الأجانب، لِمَا لهَا من أهمِّيَّة تاريخيَّة ودينيَّة، إذ شَهدتْ بلادُ الشام زيارة عدد كبير منهُم في أعقاب اعتناقَهُم للمسيحيَّة، وكانَ الدَّافع لهذهِ الرِّحَلات في بداياتِها زيارة أماكن العبادة في الأراضي المُقدَّسة، ولهذا الدافع تَقاطرت الرِّحلات الأجنبية مع بدايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حتَّى صارَ حُضورُ الرحَّالةَ إلى هُناك من الأمور المألوفة، فقد تعرَّفَ هؤلاء الرحَّالة على أماكن العبادة المسيحيَّة والإسلاميَّة، وتناولوا بالوصفِ ما شاهدوهُ مِنها.

لكنْ خلالَ القُرون(5- 7هـ/11- 13م)، اتَّخذت هذه الرِّحلات طابعاً جديداً، فكما هو معروف أنَّ الحملاتَ الصليبيةُ انطلقت من الغرب الأوربيِّ إلى الشرق؛ لاحتلال الأراضي المُقدَّسة بدوافع دينيَّة وهميَّة تكمن في زيارة أماكن العبادة، والحجِّ إليها، وهذا في نظرِ الغربِ الأوروبيِّ، في حين أنَّ الدَّافع الحقيقي لها دافعٌ اقتصاديٌّ وعسكريٌّ يكمُن في السيطرة على ثروات الشرق الإسلاميِّ واحتلال أراضيه.

إذ بقيت الأراضي المُقدَّسة محطُ أنظار ملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد(552- 595هـ/ 1157- 1199م) خلال القرن السادس الهجري القرن/ الثاني عشر ميلادي مصدرُ الهامٍ لاقتلاع العرب في الشرقِ الساحرِ، وبذلك إنَّ الطابعَ الجديدُ الَّذي اتَّخذتهُ الرِّحلات الأجنبيَّة إلى بلاد الشام و الأراضي المُقدَّسة منها، هو طابعٌ تشجيعيٌّ يكمُن بقيام الرحَّالة بتقديم وصف عن الأراضي المُقدَّسة وتبيانُ أهميتُها، ووصف جمال طبيعتُها وخيراتُها، وتقديمُ هذا الوصفُ للقُرَّاء في الغربِ الأوروبيِّ.

وبالتالي تشجيعهم على الهجرة إلى الأراضي المقدسة، والاستقرار هُناك وتخليص ما تبقَّى من أراضي بيت المَقدس من أيدي العرب المسلمين، وهذا ما تضمَّنتهُ أغلبُ الرِّحلات الأجنبيَّة، والتي لمْ تقفْ عند هذا الحدُّ، بل تضمَّنت وصفاً لجُغرافيَّة بلاد الشام، ومعالمُها الدينيَّة والأثريَّة، وأحوالها الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة مع عدم اغفالها لحركات المقاومة الشعبيَّة العربيَّة الإسلاميَّة لحملاتٍ صليبيَّة ظالمة ظاهرُهَا ديني إلهي، وجوهرُهَا مالي وحشي، هدفت لحلَّ أزمات اقتصاديَّة لبلاد غربيَّة كانت تُعاني الفقر الجوع، والبرد، وظلمَ اقطاعيين غربيين.

إشكالية البحث:

يطرحُ البحث إشكاليات وفرضيات عدَّة منها: معرفة الأسباب التي دفعت الرحَّالتين الإنكليزي سايلوف والألماني ثيودوريش إلى زيارة بلاد الشام، فهل هي دوافع دينيَّة أم سياسيَّة أم علميَّة أم رسميَّة أم بهدف التجارة ؟، ومناقشة فكرة نقد أدب الرِّحلة، فهل من الممكن الأخذ بكامل المعلومات التي احتوت عليها الرحلات فيما يتعلَّق بالحياة الاجتماعية، وخاصة أنَّ هؤلاء الرحالة قدَّموا في غالب الأحيان صورة سلبية عن العرب المسلمين، وبجانب آخر أنَّ رحلاتهم ركَّزت على الجانب الديني، فما هو مدى صحة المعلومات التي قدموها عن الجانب الاجتماعي؟.

أهمية البحث:

يُعدُّ البحث ذا أهمية بالنسبة للباحثين في حقل الدراسات الطبوغرافية والاجتماعية، ومن جهة أخرى فإنَّ المادَّة التي احتوت عليها مضمون الرحلتين غنيَّة بالمعلومات، إذ إنَّ كتاباتهم تسدُّ جانباً له شأنه في تاريخ بلاد

الشام، والأماكن المُقدَّسة؛ لاحتوائها على إشارات قيِّمة على الأصعدة الاجتماعيَّة، و الجُغرافيَّة، و الاقتصاديَّة، والدينيَّة، وغيرها.

أهداف الدراسة:

توضح الدراسة مجموعة أهداف أهمها:

تسليط الضوء على نموذجٍ من كتابات الرحَّالة الإنكليز والألمان، ومقارنتها مع كتابات الرحَّالة الأجانب الأخرى، فيما يخصُّ فئة المسلمين في بلاد الشام، وتبيانُ اهتمام الرحَّالة الإنكليز والألمان بزيارة بلاد الشام، وتقديمهم وصفاً لها.

الإطار النظري للبحث:

تتمثل الحدود المكانية للبحث بالحديث عن نعوت وصفات المسلمين في بلاد الشام، وتنحصر حدوده الزمانية من خلال انتقاء نموذجاً من كُتب الرحَّالة الإنكليز والألمان، ومُقارنتها مع الرحلات الأجنبية الأخرى خلال الفترة (496- 559هـ/ 1102- 1164).

منهج البحث :

سيُتَّبع في البحث المنهج التاريخي، بتناول الرِّحلتين موضوع الدراسة، من حيث التعريف بالرحَّالة، ودوافع الرحلة، وخطُّ سيرها، ومضمونها، ومنهجها، ومواردها، وأهميتها، مع التعريف فقط بالرحَّالة الأجانب موضوع المقارنة ضمن الحواشي.

وسيُعتمد على المنهج المُقارن بالحديث عن نعوت المسلمين في بلاد الشام، من خلال رحلة الإنكليزي سايلوف، والألماني ثيودوريش، بذكر مُسمَّياتِها، بما يَتوفَّر في الرحلتين موضوع الدراسة، مُقارنة مع ما يتوفَّر من معلومات عنها في الرحلات الأجنبية، ولمَّا كان من العسير تناول جميع هذا

النوع من الرِّحلات، فقد كان أسلوب البحث انتقائياً؛ إذ تمَّ اختيار رحلتين خلال الفترة ما بين(496- 559هـ/ 1102- 1164)، وهما رحلة الإنكليزي سايلوف، والألماني ثيودوريش.

1- الرحَّالة الإنكليزي سَايلُوف (496- 497هـ/ 1102- 1103م):

أ- التعريف بالرحالة:

سايلوف رحَّالة إنجليزي مجهول الاسم والكنية، عُرِف عنه كُثرة ترحاله وسفره، ولِذا لُقِّبَ بسَايلُوف الإنكليزي، والتي تعني بترجمتها اللاتينية " كلب البحر"، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ كلمة (wulf) شائعة كتعبير في الأسماء الإنكليزيَّة، وكلّ ما عرُف عنه أنَّه أحد رجال الكَّنيسة أو الدِّين العلمانيين في إنكلترا، ويتَّضح ذلك من خلال قراءة ما بين الأسطر في رحلته والتي تدلّ على عاطفته الدِّينيَّة الجيَّاشة[1].

ب- دوافع الرحلة:

تجلَّت برغبة الرَّحَّالة سايلوف بزيارة الأماكن الدينية والمواقع المسيحيَّة المُرتبطة بسيرة السَّيِّد المسيح(عليه السلام)[2]، وبدَا هذا الدَّافع واضحاً ومُتجلِّياً في عاطفته الدِّينيَّة الجيَّاشة لرؤية أرض الميعاد، والدَّليل على ذلك أنَّ رحلته لمْ تتجاوز رؤية الأراضي المُقدَّسة المُتعلِّقة بالمسيح وأمّه؛ وهذا ما عبَّر عنه

---

[1] سايلوف: رحلة الحاج سايلوف لبيت المقدس والأراضي المقدسة(1102- 1103م)(وصف الأراضي المقدسة)، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، رام الله- فلسطين، ط1، 1997م، ص5.

[2] عوض(محمد مؤنس): الرحَّالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1992م، ص16.

بقوله: « ورأيتُ الأماكن المقدَّسة حول البيت المقدَّس التي عانقها المسيح بقُدسيته، وحيثُ ظهرت عليه المعجزات».

ويبدو أنَّ رغبة سايلوف في نقلِ تجربتِهِ ومشاعرهِ الدِّينيَّة عقبَ زيارة الأماكن المُرتبطة بالمسيح وآلامه إلى أولئك الَّذين لمْ يتمكَّنوا من زيارتها، وتضمينها في كتاب وتقديمها للقُرَّاء، كان سبباً في ارتحاله إلى الأراضي المُقدَّسة في فلسطين[1].

وبذلك كانت رحلته بمثابة الدَّليل المُرشِد لغيرَه من الحُجَّاج الَّذِّين يقدمون إلى الشَّرق حتَّى يتعرَّفوا على الأماكن ذات الصِّلةِ بذكرياتِ المسيحيَّة في عهدها المُبكِّر في الأراضي المُقدَّسة[2]، وربَّما كان السبب الذي دفعه إلى ذلك غلبة التَّعصُّب الدِّيني على شخصيته، والذي تجلَّى بعاطفته الدِّينيَّة الجيَّاشة، التي عبَّر عنها بقوله: « ما الغريب والعجب في زيارة المسيحيين إلى الأرض التي تُحدِّثُنا عن جميع كنائسِ المسيح وما المانع لزيارتها؟! فقد بجَّلَ النَّاس القُدماء قُدس الأقداس، لأنَّه كانَ هُناك تابوت العهد...، أو ليسَ ضريحُ المسيح يستحقُّ العبادة منَّا أكثر من أيِّ شيءٍ آخر؟!.»[3].

ومن الأهمية بمكان القول: إنَّ رغبة سايلوف في استجلاءِ سحرِ الشَّرق وغموضه، ومُشاهدة معالمهُ بوصفه عالماً غريباً عن أعيُن الغرب الأوربيِّ، سيَّما بعد السَّيطرة الصَّليبيَّة على بيت المقدس، قد دفعه لزيارة تلك الأراضي، وعلى هذا فإنَّ التَّعرُّف عن قُرب إلى العالمِ العربيِّ الإسلاميِّ،

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص22.

[2] عوض: الرحَّالة الأوربيون، ص10.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص28.

وسُكَّان الأرض المُقدَّسة، كان دافعاً مُهمَّاً همَّ بسايلوف للانطلاق إلى المشرق العربي الإسلامي.

ولعلَّ حبَّه لوصف معالم الشَّرق وسحره وطبيعته كان مُقدِّمة لتقاريرٍ سريَّة[1] أُرسلت إلى أوربَّة ليقرأها رجال الدِّين على المسيحيين هُناك، فتكونُ وسيلةً أُخرى من وسائل التَّرويج الإعلامي والدِّعاية للقيام بحملاتٍ صليبيَّة جديدة، وتخليص ما تبقَّى من مناطق من أيدي العرب المسلمين، سيَّما بعد تأسيس مملكة بيت المقدس الصَّليبيَّة، لأنَّها على حدِّ زعمهم هي أرض الميعاد، وهمُ سُكَّانُها الأصليين، وبناءً عليه فإنَّ رحلة سايلوف ما هي إلَّا دعاية واقعيَّة، كتبَها أحد رجالُ الدِّين المُخلصين للمسيحيَّة، وقدَّمها على شكل خريطة للقادمين الجُدد[2].

ج- زمن الرحلة وخط سيرها:

فيما يخص توقيت الرِّحلة فلم يحدِّد المؤرِّخون زمنها بشكلٍ دقيق، لكن من خلال قراءة مضمونها يُلاحظ بأنَّ سايلوف قد ذكر فيها اسم الملك بلدوين

[1] إبراهيم(عبد العزيز عبد الغني): روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية، دار الساقي، بيروت، ط1، 2013م، ج1، ص52، 56.

[2] سعيد(إدوارد): الاستشراق، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1995م، ص46.

الأوَّل[1]، وريموند كونت تولوز[2]، وأوردهما معاً خلال ذكر ترحاله في أنحاء مملكة بيت المقدس الصَّليبيَّة، وبناءً عليه فإنَّ رحلته جرت في الأعوام الأولى من القرن الثاني عشر الميلادي؛ لأنَّ بلدوين الأول توِّج ملكاً على المملكة في سنة (494هـ/ 1100م)[3]،

---

[1] بلدوين الأول: أمير صليبي قدم من الغرب الأوروبِّي بصحبة أخويه جودفردي البولوني وأستاس البولوني، و شارك في الحملة الصَّليبية الأولى، أسَّس كونتية الرَّها، وخلف أخيه جودفري في حكم مملكة بيت المقدس، وبقي فيها حتى وفاته سنة(512هـ/ 1118م). الشارتري(فوشيه): تاريخ الحملة إلى القدس(1095- 1127م)، تر: زياد العسلي ، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 1990م، ص173؛ إمام(هنادي السيد محمود): مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الأول (494- 512هـ/ 1100- 118م)، تقديم: محمد مؤنس عوض، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م، ص35- 37.

[2] ريموند الصنجيلي: هو أحد قادة الحملة الصَّليبية الأولى، ولد حوالي سنة(432هـ/ 1041م)، وهو الابن الثاني لبونز الثاني كونت تولوز، والموديز دو لامارش (Almodis de la Marche)، شارك ريموند في الحملة الصَّليبية الأولى، وقد تولَّى كونتية طرابلس سنة(496هـ/ 1102م)، وظل حاكما لها حتى وفاته سنة(499هـ/ 1105م). عوض (محمد مؤنس): معجم أعلام الحروب الصليبية، مكتبة الآداب القاهرة، 2015م، ص405، 406.

[3] خبر تتويج بلدوين ملكاً على بيت المقدس عند: العظيمي (محمد بن علي): تاريخ حلب، تح: إبراهيم زعرور، دمشق، 1984م، ص360؛ ابن القلانسي(حمزة): ذيل تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط1، 1983م، ص138؛ابن الأثير(علي بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف العقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2003م، ج10، ص324؛ النويري(أحمد بن عبد الوهّاب): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: محمد ضياء الريس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3،

وتوفي ريموند في سنة (499هـ/ 1105م)[1].

ومن جهة أخرى فإنَّ سايلوف ذكر بعض المواقع على ساحل الشَّام التي لا تزال في أيدي العرب المسلمين، ولكنَّه ذكر بالمقابل بعض المدن التي سقطت في قبضة الصليبيين مثل طرسوس التي استولى عليها ريموند في شهر مارس سنة (496هـ/ 1102م)[2]، أمَّا عكَّا[3] فكانت خاضعة للسيطرة العربيَّة الإسلاميَّة ولم يستولي عليها الصَّليبيون إلَّا سنة (498هـ/

2007م، ج28، ص260؛ الذهبي(محمد بن أحمد): دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط1، بيروت،1999م، ج2، ص24.

[1] خبر هلاك ريموند الصنجيلي عند: العظيمي: تاريخ حلب، ص362؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص147؛ أبو الفداء(إسماعيل بن علي): المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم، محمد عزب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1999م، ج2، ص221؛ الدويهي(إسطفان): تاريخ الأزمنة، تح: بطرس فهد، دار لحد خاطر، لبنان، ط1، 1900م، ص87.

[2] خبر سيطرة الصَّليبيين على طرسوس عند: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص140، 141؛ الذهبي(محمد بن أحمد): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1998م ، ج34، ص48، 49؛ ابن الحريري(أحمد بن علي): الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح: سهيل زكار، دار الملاح، دمشق، ط1، 1981م، ص14.

[3] عكَّا تقعُ على ساحلِ بحرِ الشام من عمل الأُردن. القزويني(زكريا بن محمد): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادق، بيروت، 1960م، ص223؛ ابن سعيد المغربي(علي بن موسى): الجغرافية، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970م، ص150.

1104م)[1]، وتفسير ذلك أنَّ رحلته كانت بعد عام (495هـ/ 1101م)، وقبل سنة(498هـ/ 1104م)، أي ما بين (496- 497هـ/ 1102- 1103م)[2].

إذاً بدأ سايلوف رحلته سنة (496هـ/ 1102م) متوجِّهاً إلى الأراضي المقدَّسة في فلسطين، و بدأ مشواره المليء بالمتاعب والصِّعاب منطلقاً في شهر تموز/ يوليو (496هـ/ 1102م) من ميناء مونوبولي جنوبي إيطاليا على البحر الأدرياتيكي، وبعد أنْ عانى كثيراً من الصُّعوبات أثناء إبحاره وصل إلى ميناء برنديزي، وبعد استراحة لمْ تطل أكثر من أربعة ساعات غادر الميناء المذكور متوجِّهاً إلى ميناء كوروفو في بلاد اليونان، ومن ثمَّ قضى وقتاً قصيراً في ذلك الميناء تخلَّله تناول الطَّعام والنَّوم لمدَّة وجيزة حسبما ذكر سايلوف، إذ قال: « وفي كورفو اليونانيَّة بقينا مدَّة وجيزة تناولنا فيها قليلاً من الطعام الذي اصطحبناه معنا، ونمنا لبعض الوقت لنأخذ قسطاً من الرَّاحة بعد أن تعرضَّنا لمتاعبٍ جمَّة».

ثمَّ بعدها انطلقت الرِّحلة من جديد إلى جزيرة كيفالونيا اليونانيَّة، وفيها مات أحد رفاق الرِّحلة الَّذِّين كانوا برفقة سايلوف، وقد عبَّر سايلوف عن ذلك بقوله: « وبينما وصلنا كيفالونيا في بلاد اليونان مرِض أحد رفاقنا، ولم

[1] خبر سيطرة الصَّليبيين على عكَّا عند: العظيمي: تاريخ حلب، ص362؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص144؛ ابن ظافر الأزدي (علي بن الحسين): أخبار الدول المنقطعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص87؛ الذهبي(محمد بن أحمد): العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1985م، ج3، ص345.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص 21، 25، عوض: الرحَّالة الأوربيون، ص42

نستطع أنْ ننقذه، ففارق الحياة دون أنْ يُحقِّق حلمه في الوصول إلى أراضي الأجداد».

وبعدها انطلقت الرِّحلة من جديد إلى جزيرة باتراس[1]، ومنها إلى مدينة كورنثوس، وبعد مخاطرٍ جمَّة وصلت إلى جزيرة قبرص، وقد عبَّر سايلوف عن ذلك بقوله: « وبعد أنْ فقدنا أحد رفاقنا الأعزَّاء توجَّهنا إلى جزيرة باتراس، ولمْ نقضي فيها أي وقتٍ، فانطلقنا على الفور باتِّجاه مدينة تُدعى كورنثوس، وفي عرض البحر تعرضَّنا لمخاطرٍ جمَّة، إذْ خرج علينا الكثير من قراصنة البحر الَّذِّين أرادوا أنْ يسلبونا أمتعتنا ومُقتَنياتنا، ولكن بفضل الرَّب تمكَّنَّا من الوصول إلى جزيرة قبرص».

وبعد أن توقَّفت الرِّحلة لمدّة يومين في جزيرة قبرص حسبما ذكر سايلوف، انطلقت في اليوم الثالث باتِّجاه الأراضي المقدَّسة في فلسطين، وقد وصلت السَّفينة التي تقل الرِّفاق البحَّارة ومنهم سايلوف إلى ميناء يافا[2] في شهر أكتوبر سنة (496هـ/ 1102م).

وبناءً على ما ذكر سايلوف في خط سير رحلته، وبتتبُّع الأيام التي قضاها في جزر وموانئ البحر انطلاقاً من جنوب إيطاليا وصولاً إلى يافا في

---

[1] تقعُ على شاطئ آسيا الصغرى غرب جزيرة رودس. سعيد(حبيب): سيرة بولس الرسول، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م، ص ١٧٠ .

[2] يافا إحدى المدن الكنعانية العربية القديمة، واسمها تحريف للكلمة يافي(Yafi)الكنعانية بمعنى جميل، وتقع المدينة القديمة على التلة القائمة على ميناء يافا. الدباغ(مصطفى مراد): بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت، ط1، ١٩٧٢م، ج4، ص ٩٧، ٩٨؛ جونز: مدن بلاد الشام، تر: إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط1، ١٩٨٧م، ص ٩٥.

فلسطين، تكون الرحلة قد استغرقت ما يقارب ثلاثة عشر أسبوعاً، وقد عبَّر سايلوف عن وصوله إلى ميناء يافا بقوله: « حينما وصلت سفينتنا إلى مشارف مدينة يافا توقَّفنا على مسافة من الشَّاطئ وهناك قال لي أحد رفاقي: سيِّدي، اذهبْ إلى الشَّاطئ اليوم كي لا تهبّ عاصفة في الليل، ممَّا يجعل من المُستحيل النُّزول غداً»[1].

وبناءً على تلك النَّصيحة استأجر سايلوف ورفاقه قارباً، وركبوا فيه جميعاً، ولكن قبل أنْ يصلَ إلى الشَّاطئ، كان البحر مضطَّرباً، وازداد اضطرابه، ولكنَّه هبط ورفاقه بسلامٍ، ودخلوا المدينة مُرهقين جائعين وعثروا على مسكنٍ ينامون فيه تلك الليلة.

وفي الصباح وبينما كانوا عائدين من الكنيسة سمعوا هدير البحر، وصراخ النَّاس، ورأوا الأمواج أعلى من الجبال، وجُثثاً لا حصرَ لها قذفتها الأمواج إلى الشَّاطئ، بينما كانت شظايا السُّفن تطفو في كلِّ مكانٍ، وقد عبَّر سايلوف عن وصف تلك الكارثة بقوله: « أسفرت العاصفة التي نجينا منها بفضل الرَّب يسوع عن تحطُّم كثيراً من السُّفن بلغت عددها ما يقارب الثَّلاثين سفينة، ومنها القارب الذي ركبناه، وغرق في البحر أكثر من ألف رجل وامرأة معظمهم من الحُجَّاج»[2].

وعلى ما يبدو أنَّ سايلوف حرصَ على ايراد ما لاقه في طريقه من صِعاب إلى أنْ وصل إلى تلك البقاع المقدَّسة، وذلك من أجل أن يوضِّح لمعاصريه – واللاحقين من بعده – مدى إيمانه وورعه وتقواه التي دفعته إلى مواجهة كافَّة تلك الصُّور من المشقَّة والهلاك من أجل زيارة الأماكن

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص22؛ عوض: الرحالة الأوربيون، ص43.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص22.

المرتبطة بذكريات المسيحيَّة المُبكِّرة، ومن المُحتمل أنَّه لجأ إلى المُبالغة أحياناً في تصوير تلك الصِّعاب ليظهر أمام الآخرين في صورةٍ بطوليَّة.

وبعد أن قضى سايلوف أياماً عدّة في مدينة يافا انتقل ورفاقه الحُجَّاج إلى مدينة بيت المقدس، ومنها إلى المدن الأخرى في فلسطين والتي رغب منذ البداية بزيارتها حسبما ذكر في ثنايا رحلته[1].

وبالنسبة لتاريخ عودته إلى الغرب الأوروبيِّ، وتاريخ وفاته فهُما غير معروفين على وجه التَّحديد، ولمْ تردَ أيَّةَ إشارةٍ إلى ذلك في رحلته وفي المصادر التي تناولته بالذكرِ.

د- **مضمون الرِّحلة ولغتها:**

عرضَ سايلوف سيرة رحلته في بلاد الشَّام(الأراضي المُقدَّسة في فلسطين)، في مؤلف بعنوان" وصف الأراضي المقدسة" Descriptio (Terraes Sanctae)[2].

وتُعدُّ رحلتهُ رحلةً صغيرة في عددِ أوراقها قياساً إلى رحلات الآخرين من أبناء جَلدته، وتتقاطع معها بأنَّها ربطت بين الأماكن المُقدَّسة، وتاريخها الوارد في الكتاب المُقدَّس، فكانت عاطفتها الدينية قويَّة جيَّاشة، وفي ثنايا هذه الرِّحلة، قدَّم سايلوف صُورة للعرب المسلمين، وإنْ كانت قليلة، لكنَّها تكشفُ عن الخلفيَّة العدائيَّة التي يكنُّها لهم، وعن تحاملهِ عليهُم، إضافةً لذلك اهتمَّ سايلوف بذكر وبيان المواقع الجغرافية في الأراضي المقدسة في فلسطين، وذلك بذكر المدن بدءاً من مدينة يافا وحتى وصوله إلى منابع نهر الأردن،

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص43.

[2] عبد الله(جوزف): منتخبات التواريخ والأثار مما خلفه الرحالة الغربيون حول عكار والجوار، مكتبة السائح، طرابلس- لبنان، 2010م، ص9.

إذ تناول في رحلته أوصاف المدن، وما احتوته من كنائس وأديرة، إضافةً إلى ذكره الأسواق التجارية، وتأريخ بعض الحوادث التَّاريخيَّة فيما يتعلق بالجانب العسكري، وخاصة تناوله مقاومة الفاطميين للصليبيين[1].

وفيما يخص لغة الرِّحلة فقد كتبَ سايلوف رحلته باللغة اللاتينيَّة الوسيطة، ثمَّ قام بوصف الأرض المُقدَّسة بوساطة خطوط تقسيم كثيرة انطلاقاً من ميناء يافا وحتى منابع نهر الأردن، وهذه خطَّةٌ لمْ تكن مُجدية تماماً في التَّوضيح والتَّحديد لكنَّها نُقِلتْ مع أشياءٍ كثيرة[2] من قبل مارينو سانوتو، كما فعل سانوتو[3] عندما دوَّن كثيراً من معلومات رحلة الألماني بورشارد دي مون سيون[4].

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المُقدَّسة، مُقدِّمة الرِّحلة، ص7.

[2] زكار(سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1999م، ج37، ص138- 140.

[3] سانوتو(مارينو): الأسرار، تح: سمر الخادم و بلليغرينو رونكاليا، دار الريحاني، بيروت، ط1، 1991م، ص 45، 67، 99، 233، 267، وغيرها.

[4] الرحالة الألماني بوركهارد(بورشارد)، اقترن اسمه بجبل صهيون، بسبب إقامته في الدِّير الواقع على هذا الجبل لمدّة عشرة سنوات أو اكثر ما بين عامي (673- 683هـ/ 1274-1284م)، لذلك أُطلق عليه بورشارد من جبل صهيون- دي مون سيون، وقد دوَّن رحلته إلى الأراضي المقدسة في بلاد الشام في كتابٍ سمَّاه " وصف الأرض المقدسة". بورشارد: وصف الأرض المقدسة، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 1995م، ص16، 17؛ البيشاوي(سعيد): الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م، ص49؛ نعيرات(أسامة): اقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي، مؤسسة الأسوار، عكا، فلسطين، ط1، 2002م، ص38؛ عبد الله: منتخبات التواريخ، ص9.

هـ- منهج الرحلة:

إنَّ القارئ لمضمون الرِّحلة يُمكنه مُلاحظة المنهج الَّذي اتَّبعه الرحَّالة سايلوف في تدوين رحلته، فمنهجهُ الوصفي لا يقوم على مُشاهداتهِ فحسب إنَّما على أسئلة بعض السُكَّان والاستفسار منهم عن بعض المواقعِ والمدن، وأشارَ سايلوف إلى ذلك في بداية رحلته، فقال: « لقد دوَّنتُ بدقَّة الأجوبة التي قُدِّمَت إليَّ من قبلِ السكان عن بعض المناطق التي لم أتمكن من زيارتها البلاد»[1].

وقام منهجُ سايلوف على الاعتناء ببيان المواقع الجُغرافيَّة، وذكر المعالم الأثرية وتقديمُ وصفاً مُتكاملاً للطرق والمسالك البريَّة التي عبرَهَا، والحديث عن كلِّ مدينة حلَّ بها من حيثُ السُكَّان ومُعاملة أهلها، وذكر الأبنية ولا سيما الكنائس والأديرة[2]، واعتمدَ سايلوف أسلوبُ الاستطراد في الحديث عن أيِّ بلدٍ ذكرهُ، ومثالها حديثه عن القدس، وأبوابها، وكنائسها، وما جاورها من الجبال، والوديان، والينابيع[3].

و- أهمِّية الرِّحلة:

تكمُن أهمِّيَّة رحلته كونَهُ ضمَّنها تفاصيلٌ لجميع مظاهر الحياة الاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، والعمرانيَّة، والسِّياسيَّة في الأراضي المقدَّسة في فلسطين، وتحتل رحلته مكانة خاصَّة بين الرِّحلات الأوروبيَّة، لاعتبارات عدّة منها: كون زيارته للأراضي المقدَّسة في فلسطين جاءت في بداية الاستقرار الصَّليبي في الأرض المقدَّسة، والاستيلاء على بيت المقدس، وقد ذكر

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص14، 15.

[2] مثالها: سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص36، 45، 64، وغيرها.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، 41- 47.

الرحالة أنَّه وصل مدينة يافا في شهر أكتوبر سنة (496هـ/ 1102م)، وبناءً على ذلك يكون قد مضى على استقرار الصليبين في فلسطين نحو ثلاث سنوات وثمانية أشهر[1].

إضافة إلى أنَّها ألقت الضوء بصورة واضحة ومهمَّة عن الصَّراع العربي الإسلامي – الصَّليبي خلال ذلك العهد المُبكِّر، كما أوضحت الصِّعاب التي واجهت بعض الحجَّاج من أجل الوصول إلى الأماكن المقدَّسة لدى جموع المسيحيين، وفضلاً عن ذلك احتوت الرِّحلة على تناول مهم لمظاهر التَّدمير والتَّخريب اللذين حلَّا بالعديد من المدن في الأراضي المقدَّسة في فلسطين على نحوٍ خاصٍّ، مع بدايات الاحتلال الصَّليبي[2].

2- الرحَّالة الألماني ثيودوريش(557-559 هـ/1161- 1164 م):

أ- التعريف بالرَّحَّالة:

رحَّالة ألماني لم يُعرف عنه سوى اسمه الأوَّل، أمَّا اسمَ عائلته فهو مجهولٌ، و ثيودوريش مسيحي مُتعصب عملَ أسقفاً في مدينة فورزبورغ[3]

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المُقدَّسة، مُقدِّمة الرِّحلة، ص5؛ حمودي(إمام الشافعي): الرؤى والأحلام المقدسة – عصر الحروب الصليبية، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ط1، 2019م، ص77.

[2] عوض: الرحالة الأوربيون، ص42.

[3] مدينة ألمانية تقع في جنوب غرب ألمانيا إلى الشمال من بافاريا على نهر المين، تبعد حوالي 100 كم عن مدينة فرانكفورت.

Meisner. M; Hajm, VVurzburg. VVurzburg, 1975. p 113.

Amer. A: Ency VVurzburg, Vol. XX, New Jsrsy, 1981, p. 297.

Amer. E: VVurzburg, Vol, XXXIX, U .S. A, 1985, p. 568. ; Brit. E: VVurzburg, Vol. XXIIV, U. S. A, 1958, p 818, 819.

الألمانية[1]، وتميَّز بدرجة عالية من التديُّن مع ثقافة دينيَّة رفيعة، وقد زارَ بلاد الشام خلال المدَّة الواقعة بين سنة(557-559هـ/1161-1164م)، قدَّم خلالها وصفاً لما شاهده، فتناول بالوصف بيت المقدس، والخليل، والجليل، وبيت لحم، وغزة، ويافا، وغيرها، مُقدِّماً تفاصيل دقيقة عن الأماكن المسيحيَّة المقدَّسة في فلسطين، مع الربط بين هذه الأماكن، وبُعدها التاريخي من الناحية الدينيَّة فقط[2].

ب- دوافع الرحلة:

تكمُن برغبته في نقلِ تجرُبته ومشاعره الدينيَّة عقب زيارة الأماكن المُرتبطة بالمسيح وآلامه إلى أولئك الَّذين لم يتمكَّنوا من زيارتها، وتجلَّى ذلك بقوله: « ويحدوني الأمل أن تُثير عقول أولئك الَّذين يقرؤونها أو يسمعونها من أجل محبته من خلال تعرُّفهم عن الأماكن التي تمَّ وصفُها».

ويتضح من قوله أنَّ هدفه التحريض على العرب المسلمين، وبذلك فإنَّ رحلته جزءاً من حرب الدعاية الإعلاميَّة لترويج هدف الحروب الصليبيَّة، وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ التدوين النهائي للرحلة تمَّ بعد عودة ثيودوريش إلى ألمانيا، وذلك بعد استعادة العرب المسلمين بيت المقدس والانتصار في معركة حطين سنة(583هـ/1187م)، إذ صنَّفها باسم(holy land description of the)، ممّا دفعَ رجال الدِّين إلى تنشيط حركتهم الإعلامية

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و رياض شاهين، دار الشروق، رام الله- فلسطين، ط1، 2003م، ص11؛ عوض: الرحالة الأوربيون، ص180.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص14؛ ذكرَ محمد مؤنس عوض أنَّ الرحلة تمَّت نحو(1171- 1173م). عوض: الرحالة الأوربيون، ص181.

داخل أوربة، لإقناع الناس وحثِّهم على زيارة بيت المقدَّس، وبذلك يكون هذا الكتاب من مظاهر الدعاية الدينيَّة التي رعتها الكنيسة، لحثِّ الناس على المُشاركة في تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين[1].

وبعد أن دوَّن ثيودوريش رحلته تفرغ للعمل الكنسي والعبادة، إذ عُين أسقفاً لكنيسة فورزبورغ سنة(586هـ/1190م)، وهذا ما وجِدَ مُدوناً في قائمة أساقفة كنيسة ميونخ الكاتدرائية، واحتفظ بمنصبه لمُدِّة سنة وشهرين وأربعة عشر يوماً أيّ حتَّى(588هـ/ 1192م)، وهو العام الذي وافته فيه المنيَّة[2].

ثانياً- أدب الرحلات الأجنبية ودوره في الحروب الصَّليبيَّة:

كما هو معروف أنَّ الحملاتُ الصليبيَّة انطلقت إلى المشرقِ العربيِّ والإسلامي لاحتلالَهُ بدافع ديني واهٍ[3]، وبدافع اقتصادي وعسكري بحت، وكان ذلك مع بدايات القرن (5هـ/ 11م)، و كانَ لأدب الرِّحلات أهمِّيَّة كُبرى في الترويج وتشجيع الحروب الصليبية[4]، إذ كَثُرَ عددَ الحُجَّاج والرحالة الأجانب إلى المشرق العربي والإسلامي عقب سُقوط القُدس بيت الصَّليبيين، وتأسيس مملكة بيت المقدس الصَّليبيَّة[5]، إذ أصبحت حماسة

---

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص19، 184.

[2] الورزبرجي(يوحنا): وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشيماء، رام الله- فلسطين، ط1، 2011م، ص13.

[3] الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ص31.

[4] بالار(ميشيل): الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، تر: بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2003م، ص35.

[5] بالار: الحملات الصليبية، ص35.

الرَّحَّالة والحُجَّاج الأوربيين للارتحال إلى الأراضي المقدَّسة في فلسطين أكبر وأشمل مما كانت عليه قبل سقوط القدس بيد الصَّليبيين[1].

ومن الأهمية بمكان القول: إنَّه ساد خلال تلك الفترة نوعان من أدب الرّحلات، الأوَّل اهتمَّ بالحديث عن الإنسان وسكَّان الأراضي المقدَّسة في فلسطين وقدَّموا عنه صورة مزيَّفة حسبما ذكرت شروحاتهم الكنسيَّة، في حين اهتمَّ النَّوع الثاني بتقديم صورة عن الإنسان المشرقي من خلال الأساطير التي رسموها في خيالهم[2].

ويكاد يتطابق هذان النَّوعان من الرّحلات؛ لأنَّ الهدف واحد ألا وهو تجسيد الوعي الغربي عند المسيحيين، وتصوير الإنسان المشرقي والمسلم بصورة نمَّت عن عقلية غربيَّة وأوربيَّة لا تكنّ إلَّا كلَّ حقدٍ بدافع الاحتلال والسيطرة والجشع[3]، وبناءً عليه فإنَّ هؤلاء الرحالة تجاهلوا الوجود العربي الإسلامي في الأراضي المُقدَّسة في فلسطين من حيث ذكر جوانبهم الحضارية في حين ركَّزوا على ذكر صفات ونعوت وسَمُوا فيها العرب المسلمين، وهي صفاتٌ سلبيَّة تدلّ على العقليَّة والذِّهنيَّة الأوروبيَّة التي كانت مركزة على هدف واحد هو الدِّعاية للحروب الصَّليبيَّة.

ومن هنا فإنَّ ما وسِمَ به العرب المسلمين لا يتعدَّى سوى نعوت وصفات سلبية ارتأها رحَّالة الغرب الأوروبي فكانتْ بحقٍّ تجسيداً للوعي المسيحيِّ الغربيِّ، وللصُورة النمطيَّة المغروسة في أذهانهم عن الأماكن

---

[1] سميث(جوناثان رايلي): حال الصليبيين الذهنية تجاه الشرق، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2007م، ص125.

[2] إبراهيم: روايات غربية، ج1، ص58.

[3] سعيد: الاستشراق، ص46.

المُقدَّسة، وعن المسلمين المُغتصبينَ لها حسبُ أفكارهُم، ولإدراك رحالة الغرب الأوروبي أنَّ الَّذين يَكتبونَ عنهم(أي العرب المسلمين) لا يقرأونَ كتاباتهم فقد دخل رحلاتهم شيءٌ قليل أو كثير من الزيف المُتعمَّد، ولذا فإنَّ كلَّ ما قدَّمه أيُّ رحَّالة غربي لا يزيدُ على كونهِ رُؤية لظاهرة عربيَّة إسلاميَّة بعيون غربيَّة، استمرأتْ النَّظر بدونيَّة إلى المُجتمع العربيِّ الإسلاميِّ، أمَّا المضمونَ الأخلاقي نجده في مروياتِهم حينَ يعملون على تحليل ما شاهدوه، ففيه اختلافٌ وتشاجر، وهو إفرازٌ عن ذهنية غربية تختلفُ ثقافتها تماماً عن ذهنيّة ثقافات مُجتمعنا العربي.

تلك الذّهنيَّة التي دفعت كل من ارتحل إلى المشرق العربي والإسلامي النَّظر بدونيَّة لكلِّ المنجزات الحضاريَّة التي أبدعها الإنسان العربي المسلم، وهذه الذِّهنيَّة لمْ تقف عند هذا الحدُّ، بل صوَّرت سكَّان الشرق بأنَّهم أسوأ الشُّعوب، إذ تمَّ اتّهامهم زوراً وبُهتاناً بصفاتٍ هُم بُرَاءة منها، وكان الهدف من ذلك إظهارهم بمظهر الإنسان المُتخلِّف الذي لا يستحق امتلاك الأراضي المقدَّسة، وخاصَّة منها المُرتبطة بذكريات المسيح عليه السلام، وآلامه، ولعلَّ من أبرز الصِّفات والنُّعوت السَّلبيَّة التي وسِمَ بها العرب المسلمين، كما ورد في نصَّي رحلة كلٍّ من الرحالة الإنكليزي سايلوف(496- 497هـ/ 1102- 1103م)، والرحَّالة الألماني ثيودوريش(557- 559هـ /1161- 1164م)، ما يلي:

1- معتدون[1] وهمجيون[2]:

اتَّسمت الرَّحلات الأجنبيَّة بمجملها بنعت العرب المُسلمين بصفة الاعتداء والهمجيَّة، ولعلَّ أنَّ الصفة السَّلبيَّة التي أطلقها هؤلاء الرَّحَّالة الأجانب على العرب المسلمين كان القصد منها إثارة الأحقاد، وتشجيع الحروب الصليبيَّة، فالرَّحَّالة الإنكليزي سايلوف هو أحدُ أولئك الَّذين كرَّر في رحلته صفة الاعتداء والهمجية، فصور المسلمين على أنَّهم أعداء الحضارة وتملكهم رغبة جامحة في القتل والتدمير والهمجية، وقد جاء ورود هذه الصفة

---

[1] لعلَّ من أكثر الرَّحّالة الأجانب الَّذين نعتوا المسلمين بهذه الصِّفة هو الرَّحَّالة الرُّوسي إيغومن دانيال الرَّاهب الذي رحل إلى الأراضي المقدَّسة في فلسطين خلال الفترة(501- 502هـ/ 1107- 1108م)، ودون مشاهداته في كتاب سمَّاه" وصف الأرض المقدسة في فلسطين". الراهب(دانيال): وصف الأرض المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و داود أبو هدبة، دار الشروق، عمَّان، ط1، 1992م، 7 ؛ سترانج(لي): فلسطين في العهد الإسلامي، تر: محمود عمايري، جمعية المطابع التعاونية، عمان، ط1، ١٩٧٠م، ص٦٩، ٧٠؛ البيشاوي(سعيد): نابلس - الأوضاع السياسية والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والاقتصاديَّة في عصر الحروب الصليبية، عمان، ط1 ، ١٩٩١م ، ص55. وكذلك الرَّحَّالة الألماني بتاحيا الرَّاتسبوني الذي رحل إلى الأراضي المُقدَّسة في فلسطين سنة (614هـ/ 1217م)، ودوَّن مشاهداته في كتاب سمّاه" رحلة بتاحيا الراتسبوني". الراتسبوني(بتاحيا): رحلة بتاحيا، دار الكتاب الثقافي، تر: فؤاد عبد الرحيم الدويكات، عمان، د.ت، ص13.

[2] لعل من أبرز الرحالة الأجانب الذين صوَّروا المسلمين على أنَّهم معتدين هو الرَّحَّالة الألماني يوحنا فورزبورغ والذي رحل إلى الأراضي المقدسة في فلسطين سنة (621هـ/ 1223م)، ودون مشاهداته عمَّا رآه فيها ووصفه في كتاب سمَّاه" وصف الأراضي المقدسة في فلسطين. الورزبرجي: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص21.

في رحلته في معرض حديثه عن المدن التي زارها ومن الأمثلة عن ذلك قوله عن مدينة بيت لحم: « وكانت بيت لحم مدينة جميلة، لكنَّ المسلمين لم يتركوا شيئاً يمكن السَّكن به، ولكنَّهم دمَّروا كلّ شيءٍ، كما حدث في جميع الأماكن المُقدَّسة الأخرى خارج أسوار بيت المقدس»[1].

ومن الأمثلة التي أوردها سايلوف أيضاً واتَّسمت بوصفه المسلمين بالتَّدمير ذكره أن مدينة الخليل كانت جميلة وعظيمة، لكن المسلمين دمَّروا كل شيء فيها، إذ قال: « ومدينة الخليل كانت عظيمة وجميلة، ولكنَّها الآن مدمرة من قبل المسلمين»[2].

كذلك برزت هذه الصّفة عند حديثه عن مدينة النَّاصرة، إذ أشار إلى أنَّ المسلمين هم من قاموا بتدمير وتخريب المدينة، وعبَّر عن ذلك بقوله: « وقد دمَّر المسلمون النَّاصرة»[3].

وحقيقة الأمر لا نستطيع أن نؤيِّد رؤية سايلوف بأنَّ الدَّمار والخراب[4] الذي حلَّ بالمدن المذكورة يقع على عاتق المسلمين، ومن الممكن

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص34.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص42.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص43.

[4] ومن الأمثلة ما ذكرهَ الرحَّالة فون سوخم بأنَّ المُسلمين قاموا بقطعِ جميع أنواعِ الكروم و الفاكهة حولَ عكَّا عند مُحاصرتهم لها، وشعَّثوا جميع الحدائقِ والبساتين المُحدقة بها، وهجموا المدينة لمُدَّة أربعين يوماً دون توقف بالنار والحجارة والسهام، وقاموا بإحراق المدينة القائمة بين الأسوار كلِّهَا، ودمَّروا جميع الأسوارِ والأبراج والقصور، كما أنَّهم قاموا بتدمير مُدن جبل الكرمل بعدَ أنْ كانت فيما مضَى جميلةٌ، وقاموا بتدمير قيساريَّة كلياً، كما قامَ السلطان المملوكي بتدمير مرسى مدينة يافا؛ خوفاً من ملك فرنسا، ثمَّ قاموا بتدميرِ مدينة صيدا بشكلٍ كامل. سوخم(فون): وصف الأرض المقدَّسة، وقع ضمن

أنْ نتصوَّر أنَّ مثل ذلك الخراب – إنْ وجِدَ – كان نتيجة طبيعيَّة للصراع العربي الإسلامي– الصليبي، وليس من المنطق تحميل المسلمين مسؤولية تخريب تلك المدن بالصورة التي ذكرها سايلوف، وخاصةً إذ علمنا أنَّ مدن السَّاحل قد نالت قسطاً من الخراب بسبب العمليات الحربيَّة والمقاومة العربيَّة الإسلاميَّة لموجة الغزو الصَّليبي[1].

وقد أكَّد المؤرِّخ العظيمي[2] أنَّ الصَّليبين قاموا بتعمير بعض مدن السَّاحل الشَّامي بعد الخراب الذي حلَّ بها – وهنا يُقصد بالتعمير إقامة القلاع والحصون، أمَّا ما يخص المُدن الداخلية التي أشار إليها سايلوف فإنَّنا لا نجد ما يدعم اتِّهامه للعرب المسلمين بأنَّهم يتحمَّلون مسؤولية ذلك.

كما برزت صفة الهمجيَّة في الرَّحلة الإنكليزيَّة لسايلوف عندما قدَّم صورة عن قيام طغكتين[3] بقتل جيرفاس الصَّليبي[1] إذ قدَّم في رحلته

الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، تر: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1999م، ص302، 307، 308.

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص45.

[2] العظيمي: تاريخ حلب، ص362.

[3] الأمير أبو منصور ظاهر الدِّين طغتكين المشهور باسم طغتكين أتابك، هو أتابكٌ وقائدٌ عسكريٌّ، ومؤسِّس حكومة البوريين الذِّين حكموا دمشق ضمن الدولة السَّلجوقيَّة، وكان من أمراء تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان الذي زوجه بأمِّ ولده دقاق، وكان مع تاج الدولة لما سار إلى الري لقتال ابن أخيه بركياروق، فلما قُتِل تاج الدولة رجع طغتكين إلى دمشق وباشر وظيفته أتابكاً لدقاق، فلما مات دقاق سنة(497هـ/ 1104م) ملك دمشق خمس وثلاثين سنة مؤسساً حكومة البوريين التي امتدت احدى وخمسين سنة، (ت 522هـ/ 1128م). العظيمي: تاريخ حلب، ص 381؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،

معلومات احتوت كثيراً من المبالغات، وبدا فيها عُنصريَّاً مُتعصِّباً ضدّهم إذ نعتهم بالهمجية، وقصد من ذلك تحقيرهم وإهانتهم، وقد ساقَ سايلوف رواية ذكر أنَّها تبرِّر وصفه للمسلمين بتلك الصفة، وتجلَّت هذه الصُّورة بذكره حادثة مقتل القائد الصليبي جرفاس بوسوك على يد أمير دمشق طغكتين بعد أنْ وقعَ جرفاس في الأسر، فقال: « انساقَ طغتكين وراء شهوات نفسه،

ج10، ص652؛ ابن واصل(محمد بن سالم): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: حسين محمد ربيع، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1957م، ج2، ص105؛ ابن خلكان(أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1969م، ج2، ص423؛ الذهبي(محمد بن أحمد):الإعلام بوفيات الأعلام، تح: مصطفى بن علي عوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1993م، ص214؛ ابن الوردي(عمر بن المظفر): تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م، ج2، ص34؛ الصفدي(خليل بن أيبك): الوافي بالوفيات، اعتناء: رمضان عبد التواب، دار فرانز شتاينر، فيسبادن، 1985م، ج16، ص451؛ الصفدي(خليل بن أيبك): أُمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1983م، ص45؛ الكتبي(محمد بن شاكر): عيون التواريخ، تح: نبيلة عبد المنعم داوود، فيصل السامر، دار الحرية، بغداد، ط1، 1984م، ج12، ص198، 199؛ الخزرجي(علي بن الحسن): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، دار الآداب، ط2، بيروت،1983م، ج1، ص29.

[1] جيرفاس: هو جيرفاس دي بازوش(Gervase de Bazoches)، الابن الثاني لميلو(Milo) سيد بازوش في مقاطعة سواسون(Soissons) وقد تمَّ تعيينه حاكماً على طبرية من جانب الملك بلدوين الأول كخليفة لهجيو دي فوجومبر(Hugh de Fauguembergues)، وبقي فيها حتى مقتله على يد طغكتين. عوض: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص397.

وشرب حتَّى الثمالة، ثمَّ قامَ بقطع رأسه، وبذلك قدَّمه شهيداً من أجل الربِّ، وفي اليوم التالي حيثُ سكنتْ نفسه، كانَ ممتلئاً بالعار والغيظ، لأنَّه قتل رجلاً بجنون، ودفنه بدون رأس، حيثُ احتفظَ به، وزيَّنه بالذهب والأحجار الكريمة، وأبقاه تُحفة لكي يشربَ بها»[1].

وحقيقة الأمر أنَّ الصُورة التي أتى بها سايلوف كان الهدف منها إثارة العواطف، ونبش الأحقاد، بكل ما فيها من انفعالات عاطفيَّة، إضافةً إلى تقديم صورة وحشيَّة عن هذا القائد الإسلامي، الذي كان يُمثِّل المسلمين في الشَّام في عهده، وروايته هنا تتسم بالحقد، وعدم الموضوعية، والذي حدث أنَّ جرفاس قد خرج بقواته في الثامن والعشرين من رمضان– العاشر من حزيران (501هـ/ 1108م) لصدِّ غارة إسلاميَّة على طبرية، وقد تمكَّنت القوات الإسلاميَّة من اقتياده أسيراً إلى دمشق[2]، ونظراً لعلو شأن الأمير الصليبي، فقد أرادت أتابكيَّة دمشق أن تتخذه ورقة رابحة للمساومة السيَّاسيَّة مع مملكة بيت المقدس.

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص86.

[2] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص161؛ العظيمي: تاريخ حلب، ص264؛ ابن الحريري: الإعلام والتبيين، ص17؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج35، ص9؛ الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص30.

وقد عرض طغتكين أن يُسلِّم جيرفاس للصليبين في مقابل انسحابهم من طبرية وعكا وحيفا[1]، ونظراً للأهمِّية الاستراتيجية لكافَّة تلك المناطق التي بذل الصَّليبيين جهدهم الجهيد من أجل اخضاعها ضمن سياستهم حيال السَّاحل الشَّامي بصفة عامَّة، فقد رفض الملك الصليبي بلدوين ذلك العرض، لذلك قام طغتكين بإعدام ذلك الأمير الصليبي[2].

وقد جاء رفض مملكة بيت المقدس الصَّليبية ايذاناً بفشل محاولة أتابكية دمشق استثمار ذلك الأسير النَّبيل لصالحها، وعندما أيقنَ طغتكين أنَّه لن يربح من ورائه أيَّة مكاسب سياسيَّة تدعم مركزه أمام رعاياه وتقوي أتابكيته في خضم الصراع الإسلامي – الصليبي، أمرَ بقتله رمياً بالسِّهام، وتمَّ وضع رأسه على حربة تصدَّرت مُقدِّمة الجيش الدِّمشقي الذي دخل دمشق مُكلَّلاً بأكاليل النَّصر[3].

صحيح أنَّ هذا الحادث وقع بعد قدوم سايلوف إلى فلسطين، ولكن إيراده له يُدِّلل على تناقل النَّاس قصة مصرعه وبذلك عمدَ سايلوف إلى

---

[1] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص164؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص467؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج2، ص381؛ ابن الحريري: الإعلام والتبيين، ص18؛ فون آخن(ألبرت): تاريخ الحملة الصليبية الاولى و مملكة بيت المقدس(1095 – 1120م)، تر: محمد حمدان أحمد، دار الإعصار العلمي للنشر، دمشق، 2015م، ص276.

[2] فيتلوس: وصف الأرض المقدسة، ص14.

[3] عوض: الرحالة الأوربيون، ص107.

حشوها في ثنايا رحلته بعد عودته إلى وطنه ليُدِّلل على همجية المسلمين[1]، ويُدلّل على أنَّهم كانوا يعدوُّنه بطلاً قوميَّاً ضحَّى بنفسه من أجل الهدف الذي قامت من أجله الحروب الصليبية، وهو السَّيطرة على الأراضي المُقدَّسة، وديمومة هذه السَّيطرة.

وتعكس رواية سايلوف مرحلة مهمَّة من مراحل الصّراع العربي بين أتابكيَّة دمشق، وأمراء الجليل في صورة جيرفاس، ويلاحظ أنَّ المصادر العربية المعاصرة وصفت ذلك الأمير الصّليبي بأوصاف تدل على علو كعبه في مجال الفروسيَّة ورباطة جأشه[2]، فابن القلانسي على سبيل المثال يذكر عنه أنَّه من مُقدِّمي الفرنج المشهورين بالفروسيَّة والشَّجاعة والبسالة والشدَّة، ويجري مجرى الملك بلدوين في التقدُّم على الفرنج[3].

[1] على ما يبدو أنَّ هذه الحادثة قد تناقلها أكثر من رحَّالة أجنبي، وربمَّا كان الهدف منها إثارة الأحقاد ضدَّ العرب المسلمين، فالرَّحَّالة الرُّوسي فيتلوس قد سرد الرواية ذاتها وبحرفيتها رغم أنَّ هذه الحادثة قد وقعت قبل قدومه إلى بلاد الشَّام، فمن المعروف أنَّه زار الأراضي المقدَّسة في فلسطين بين عامي(512- 525هـ/ 1118- 1130م)، وهذا دليل على تعمُّد رحالة الغرب الأوروبي بتناقل بعض الرّوايات الكاذبة لإثارة الأحقاد ضدَّ العرب المسلمين. فيتلوس: وصف الأرض المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و فؤاد عبد الرحيم دويكات، مؤسسة حمادة للدارسات الجامعية، إربد- الأردن، 2008م، ص23، 55.

[2] عوض: الرحالة الأوربيون، ص107.

[3] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص162.

وفي الوقت الذي ترافقت فيه رحلة الإنكليزي سايلوف إلى بلاد الشام مع صعود القوة الفاطمية ولا سيَّما البحريَّة منها، تناول هذا الرحالة في رحلته الحديث عن النشاط الفاطمي في البحر، والمحاولات التي بذلتها الدولة الفاطميَّة من أجل حماية الشريط الساحلي للعديد من المدن التي كانت لا تزال في أيدي المسلمين، وذلك خوفاً من وقوعها في أيدي الصّليبيين إذ تناول سايلوف النَّشاط البحري للأسطول الفاطمي في عرض البحر الأدرياتيكي وتحدَّث عن المعارك البحرية والاشتباكات التي وقعت بين الأسطولين الفاطمي والصليبي، ويبدو ذلك واضحاً من خلال ذكره للنشاط البحري الفاطمي في عرض البحر المذكور[1].

ومن خلال تحدُّثه عن الإمكانات البحرية العالية التي جهز بها الأسطول الفاطمي، والذي أثار الخوف والرعب عند الصليبيين، بدا واضحاً من حديثه أنَّه أعطى صورة سلبية عن العرب المسلمين اتَّسمت بالاعتداء على أصحاب الأرض الحقيقيين (المسيحيين حسب تعبيره)، وربَّما مرد حديثه هذا إلى أنَّه كان أحد الَّذِّين تعرَّضوا لتلك المخاطر عند عبوره للبحر الأدرياتيكي، إذ منعه الخوف من الأسطول الفاطمي من التوغُّل في عرض البحر بعد أنْ أنهى زيارته للأراضي المُقدَّسة في فلسطين، إذ ذكر أنَّه قفل عائداً إلى بلاده خوفاً من التعرُّض لهجمات واعتداءات الفاطميين، وقد عبَّر عن ذلك بقوله: « وبعد أن قمنا بزيارة جميع الأماكن المحرمة في مدينة بيت

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص47.

المقدس وحتى حدودها ذهبنا بعد ذلك على متن سفينة من يافا عائدين إلى الوطن، ولكن خوفنا من المسلمين لم يجعلنا نخاطر في الدخول إلى عمق البحر الأدرياتيكي لأنَّنا كُنَّا خائفين من اعتداءات أسطولهم»[1].

وعلى ما يبدو أنَّ حركة المقاومة العربيَّة الإسلاميَّة ضد الاحتلال الصّليبي فُهمت من قبل سايلوف بالاعتداء، فقد تناول الرحالة المذكور أحد المعارك التي جرت في البحر بين الفاطميين والصَّليبيين، وكانت هذه المعركة بحضوره، إذ ذكر أنَّه قام الأسطول الفاطمي والمؤلَّف من ست وعشرين سفينة بالتوجُّه إلى بابلونيا مع جيش كبير، وذلك من أجل مهاجمة ملك بيت المقدس[2].

وتابع سايلوف أنَّه في الوقت الذي كان فيه على متن سفينته، أحاط بهم الأسطول الفاطمي، لكن عندما رأى قائد الأسطول الفاطمي استعدادات السَّفينة والبحَّارة الأوروبيين أمرَ سُفنه بالانسحاب، وقد عبَّر سايلوف عن هذه

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص46.

[2] ومن الأمثلة على وصف المسلمين بالمعتدين ما ذكره الرحالة الروسي دانيال الراهب الَّذي قرن الهمجية والتدمير بالكُفر والوثنية، وصوَّرَ المُسلمين بأنَّهم مُعتدين على الأماكن الدينية المسيحيَّة، فقال: « ففي القُدس حيثُ حاول اليهود إلقاءَ جثة العذراء المُقدَّسة من النعشِ كانَ هُنالك ديرٌ في هذا المكانُ، ولكنَّ الكُفَّار دمَّروه، وفي بيتِ لحم قُرب بئر داود كان هُنالك كهفٌ يعلوهُ كنيسة جميلة سُمِّيت نسبة إلى يوسف، وكان على جانبها ديرٌ جميلٌ، وقد دُمِّرتا من قبل الكُفَّار، كذلك كانت عمواس بلدة كبيرة وقد بُنيتْ كنيسة كبيرة هناك، ولكنَّها هُدمتْ من قبل الكُفَّار». دانيال الراهب: وصف الأرض المقدسة، ص64، 80، 84، 88 ، 100، 119.

الحادثة بقوله: « وفي يوم الأربعاء...، وبينما كُنَّا نبحر بين حيفا وعكا شاهدنا ستاً وعشرين سفينة للمسلمين ظاهرة للعيان، وكانت تابعة لأدميرال مدن صور وصيدا، وكانت هذه السُّفن تتَّجه إلى بابلونيا مع جيش، وذلك لمساعدة الكلدانيين في شن حرب على ملك بيت المقدس، وتركتنا سفينتان جاءتا معنا من يافا، وكانتا مُحمَّلتين بالحجَّاج، وبقيت سفينتنا وحدها، وهربت السَّفينتان إلى قيساريَّة، وأبحرت سفن المسلمين حتَّى أحاطونا مهيئين أنفسهم على مثل هذا الصيد، وكان رجالنا مُستعدِّين للموت في سبيل المسيح، وقبضوا على أسلحتهم، وبقدر ما سمح لنا الوقت قمنا بتحصين برج السَّفينة بالرجال المسلحين، حيث أنَّه كان على مركبنا مائتا رجل قادرون على الدفاع عنها، ولكن بعد تأخير ساعة تقريباً قام رئيس الأعداء بعقد مجلس الحرب، وأعطى الأمر لأحد بحَّارته بالصعود إلى أعلى صارية في السفينة ليراقب من هناك ما كان يجري، وما كُنَّا نفعل على سفينتنا، وعندما عرفَ من البحَّار عن قوّة استعدادانا أعطى أوامره بالإبحار مُتَّجهاً داخل البحر، وهكذا سلَّمنا الله بفضلٍ منه ورحمةٍ، وأنجَانا من أعدائنا في ذلك اليوم، ولكنَّ رجلانا استطاعوا بعد ذلك أسر ثلاثة من تلك السفن في يافا، وأثروا أنفسهم من تلك الغنائم»[1].

وقد صوَّر الرحالة سايلوف أيضاً حركة المقاومة الشعبية التي قامت بها جماعات وأفراد من العرب المسلمين ضدَّ الاحتلال الصليبي على أنَّها

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص48.

حركة اعتداء، وذكر أنَّ هذا الاعتداء تجلَّى بنصب العرب المسلمين للكمائن[1] وهدفوا منها قتل الحجاج المسيحيين القادمين من الغرب الأوروبي وأيضاً تمثَّلت بقيام السكان بالهجوم على بعض معسكرات الجيش الصّليبي، ولعل أكثر المناطق التي حصلت فيها تلك الاعتداءات حسبما ذكر سايلوف كانت في الجبال الوعرة والطرق التي يسلكها الحجاج المسيحيين، ولا سيما في المنطقة الواقعة ما بين يافا والقدس، وقد تحدَّث الرَّحَّالة عن أساليب المعتدين(المقاومين حسب رأيُنا) باعتمادهم على الظهور والتَّخفِّي، واعتمادهم على الكمائن وعنصر المفاجأة.

وقد شبَّه سايلوف هذه الاعتداءات بحرب العصابات ضدَّ الصليبيين القادمين من الغرب الأوروبي، فكما ذكرنا أنَّ تلك المُصادمات بين الجانبيين قد اعتمدت على أسلوب الكر والفر والمباغتة وتحقيق أكبر قدر من الخسائر في صفوف الصليبيين، ثمَّ الرجوع إلى مواقعهم المُحصَّنة في الجبال، دونَ أن

[1] عن تلك الكمائن ينظر الشارتري: تاريخ الحملة إلى بيت القدس، ص111؛ دانيال الراهب: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص48؛ التطيلي(بنيامين): الرحلة، تر: عزرا حداد، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002م، ص337. فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ص24–26؛ الصوري(وليم): تاريخ الحروب الصليبية والأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2003م، ج1، ص123؛ داجيل(ريموند): تاريخ الفرنجة غزاة المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1991م، ص19؛ رنسيمان(ستيفن): تاريخ الحروب الصليبية، ، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م، ج1، ص201.

يكونوا قد خسروا الكثير من رجالهم، ويبدو أنَّ العرب المسلمين في الأراضي المُقدَّسة في فلسطين حينذاك قد أدركوا أن المعارك بين الجيوش النَّظاميَّة العربيَّة الإسلامية والصَّليبيَّة قد أدَّت إلى إلحاق الهزائم بهم على نحو أدَّى بدوره إلى نجاح الصليبيين في تحقيق أهدافهم واحتلال أجزاء مُهمَّة وحيويَّة من بلاد الشَّام والجزيرة، ومن ثمَّ فإنَّ الحل المنطقي في نظرهم كان في شن هجمات سريعة تلحق الأضرار وتستهلك طاقات الصليبيين وتحرمهم من الدَّعم البشري القادم من أوروبا، وتجعل أمر استقرارهم في المنطقة باهظ التكاليف[1].

وقد عبَّر سايلوف عن ذلك بقوله: « وذهبنا من يافا إلى مدينة بيت المقدس في رحلة استغرقت مسيرة يومين عبر طريق جبليَّة وعرة وخطرة جداً، حيثُ أنَّ المسلمين اعتادوا أنْ ينصبوا الكمائن والمصائد للمسيحيين، إذ إنَّهم يختبئون في الأماكن الجوفاء من الجبال والكهوف الصَّخريَّة، وكانوا يراقبون ليلاً ونهاراً حتَّى تسنح لهم الفرصة لمهاجمة مجموعة من المسافرين، أو الهجوم على أولئك الذي يتخلَّفون وراء جماعتهم بسبب التَّعب وفي لحظة ما يمكن رؤيتهم في كل مكان ثمَّ يختفون كليَّة، ويمكن لأيّ شخص يقوم بمثل هذه الرّحلة أنْ يرى ذلك»[2].

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص44.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص23.

كما قدَّم سايلوف صورة للمأساة التي واجهها الحُجَّاج والمخاطر التي كانت تحدق بهم، وما كان يصيبهم من خوف وفزع، لدرجة أنَّ الجثث كانت تنتشر على الطرقات وتأكلها الوحوش، لأنَّه لا يستطيع أحد دفنهم حرصاً على النَّجاة بحياتهم، وربَّما كان هدف سايلوف من ذلك الإشارة إلى المقاومة الشعبية (الاعتداءات حسب رأيه) التي لقيها الصَّليبيين والحُجَّاج، رفضاً من العرب المسلمين للوجود الصليبي، ولعلَّ من أبرز الإشارات التي وردت في رحلته عن هذا الأمر قوله: « كم هو كبير عدد الجُثث المُلقاة أو الممزَّقة من قبل الوحوش في الطريق أو على جانبه، ويمكن للبعض أنْ يندهش؛ لأنَّ تلك الجثث المسيحيَّة مُلقاة هناك غير مدفونة، ولكنْ يجب ألَّا يندهش المرء البتَّة، حيثُ أنَّه لا يوجد إلَّا قليل من التُّراب، ولا يمكن الحفر بسهولة في الصُّخور الصُّلبة، وحتَّى لو وجدت الأرض التُّرابيَّة من هو الأحمق الذي سيكون بوسعه ترك جماعته والقيام بمفرده بحفر قبر لأحد رفاقه؟! لو فعلَ ذلك فإنَّه سيكون مُستعدَّاً لعمل قبر لنفسه، بدلاً من قبر رفيقه»[1].

وبناءً على أقوال سايلوف السَّابقة فإنَّ رحلته تكشف لنا عنف المقاومة العربية الإسلامية في ذلك الطريق (والتي عدَّها هو مجرد اعتداء) والتي بلغت حدَّاً دفعت الصَّليبيين إلى تجنُّب دفن قتلاهم خوفاً من أنْ يغتنم المسلمون الفرصة

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص23؛ النقر (محمد الحافظ): كتابات الرحالة الأوربيين عن مملكة بيت المقدس، جامعة آل البيت، المفرق- الأردن، 1999م، ص201.

ويفتكون بهم، وهذا الوصف البارع الذي يفيض حيويَّة وتفصيلاً يفيدنا في إدراك حجم المقاومة العربيَّة الإسلاميَّة ضدَّ الصَّليبيين خلال تلك المرحلة المبكرة من الوجود الصليبي في الأراضي المُقدَّسة في فلسطين[1].

ورغمَّ عدَّ سايلوف في بعض الأحيان لما يقوم به العرب المسلمين بأنَّه مجرد أعمال سلب ونهب واعتداء وقتل، فإنَّ الرَّحَّالة ذاته يقرِّر بأنَّ تلك الأعمال كانت ضدَّ جميع الصَّليبيين سواء فقير أمْ غني، وقد عبَّر عن ذلك بقوله: « على ذلك الطريق ليس الفقير أو الضعيف في خطر بل الغني والقوي يواجهان نفس الخطر، كثيرون يقتلون من قبل المسلمين»[2].

ومن الأهمية بمكان القول: إنَّه يمكن الرد على سايلوف بأنَّ الاقدام على قتل الفقراء يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ قاتليهم لم يهدفوا إلى سلب أموالهم وأمتعتم و الاعتداء عليهم، ولكن الرَّغبة في مقاومة موجة الغزو الصَّليبي للمنطقة، وبالتالي فإنَّه من الانصاف أنْ نُقرِّر أنَّ حركتهم اتَّسمت بطابع الجهاد ولا تتَّصف بطابع الاعتداء والهمجية[3].

وبالمقارنة يُلاحظ أنَّ الطابع السلبي الذي تجلّى في رحلة الإنكليزي سايلوف قد طبع رحلة الألماني ثيودوريش، فقد فُهِمت حركة المقاومة العربيَّة الإسلاميَّة من قبل ثيودوريش على أنَّها اعتداء من قبل العرب المسلمين على

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص44.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص23

[3] عوض: الرحالة الأوربيون، ص44.

الصليبيين، وقد بدَا ذلك في رحلته من خلال حديثه عن الصَّليبيين وحجَّاجهم، إذ تطرَّق للحديث عن كُثرة الحراسات التي تُرافق هؤلاء خوفاً من اعتداء العرب المسلمين، وتجلَّى هذا الأمر عند حديثه عن فرسان المعبد[1] الذي كانوا يمتلكون كثيراً من الأبراج والبيوت الواسعة، وأنَّ من مهامهم مرافقة الحجَّاج الَّذين يتوجَّهون إلى الكنائس القريبة من نهر الأردن، و ذلك خوفاً من اعتداءات الوثنيين المُسلمين على حدِّ تعبيره، وأنَّ مُهمَّتهم حمايتهم حتَّى لا يُصابوا بأذى سواء في طريق الذَّهاب أمْ في طريق العودة، وقد أوردَ ثيودوريش ذلك عند ذكره تنظيم الحراسات لهؤلاء الحجاج، والَّذين كانوا يقطنون في جبل القرنطل للاستراحة أو الصَّلاة، إذ عبَّر عن ذلك بقوله: « كان الحُجَّاج مُتعوِّدون أنْ يقضوا الليل بأنْ يذهبوا إلى الكرانتينا (القرنطل) من أجل الصَّلاة، ويمكن أنْ يُنظِّفوا أنفسهم في مياه نهر الأردن، ويتم حماية الحُجَّاج على ثلاث نواح بواسطة الحديقة (حديقة إبراهيم) نفسها من كمائن

[1] جمعيةٌ دينيةٌ أُنشئت أوَّل الأمر لحمايةِ طريق الحُجَّاج المسيحيين بينَ يافا وبيت المقدس، ثمَّ تحوَّلتْ إلى هيئةٍ حربيَّةٍ. الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص576، 577؛ الفيتري(يعقوب): تاريخ بيت المقدس، تر: سعيد اليشاوي، دار الشروق، عمان، ط1، 1998م، ص90، 91؛ السامرائي(إبراهيم): المجموع اللفيف، دار عمار، عمان، 1987م، ص98؛ دهمان(محمد أحمد): معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م، ص73.

العرب المسلمين، وعلى النَّاحية الرابعة تحميهم وتحرسهم دوريَّات من فُرسان الاسبتاريَّة[1] والدَّاويَّة[2]»[3].

كذلك بدا ذلك واضحاً عند حديثه عن كنيسة القدِّيس ألعازر في بيثاني" العيزرية" فقد ذكر الرَّحَّالة أنَّ الأرض هناك لمْ يتم حرثها وفلاحتها بسبب غارات واعتداءات العرب المسلمين، إذ قال: « وفي بيثاني لمْ يقم المسيحيين بفلاحة أراضيهم وحرثها خوفاً من هجمات واعتداءات العرب المسلمين»[4].

[1] طائفةٌ دينيةٌ أُطلق عليها أيضاً جمعية الهسبتاليين شاركت في الأعمال الحربيَّة والأعمال الطبيَّة. الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص830، 831؛ الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص86، 87؛ لويس(أرشيبالد): القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد عيسى، القاهرة، ط1، 1960م، ص329؛ توفيق (عمر كمال): مملكة بيت المقدس الصليبية، الاسكندرية، ط1، 1958م، ص193؛ سميث(جوناثان رايلي): ماهي الحروب الصليبية، تر: محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ص74.

[2] منظمة صليبيَّة تأسست سنة(513هـ/ 1119م)، فجمعت بين نقيضين: الرهبة والجديَّة، وعرف أعضاؤها في العصور الوسطى باسم "فرسان المسيح الفقراء"، أو "فرسان الهيكل" وسماهم مؤرخو الحروب الصليبية العرب "الداوية" وكان هدف المنظمة كمثيلتها الاسبتارية إيواء الحجاج المسيحيين في المشافي ومداواتهم وحمايتهم. الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص94، 95.

[3] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدَّسة، ص 108.

[4] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدَّسة، ص 109.

كذلك أشار ثيودوريش إلى أنَّ هجمات العرب المسلمين كانت سبباً في ارتفاع أسعار الخشب في القدس، لأنَّ جبل لبنان هو الجبل الوحيد المُحاط بخشب الأرز والسَّرو والصُّنوبر، ويقع على بعد مسافة شاسعة عنهم، ولا يستطيعون الوصول إليه خوفاً من هجمات الوثنيين[1].

وذكر ثيودوريش أنَّ اعتداءات العرب المسلمين كان سبباً دفع الصَّليبيين إلى إخفاء طعامهم وأسلحتهم في أماكن تحت الأرض، وقد بدَا حديثه واضحاً عند ذكره جبل القرنطل، إذ قال: « إنَّ قمة جبل الكرنتينا وكهوفه الموجودة تحت الأرض مليئة بالمؤن والأسلحة التي تخص فرسان المعبد الَّذِين لا يملكون حُصناً مناسباً بسبب مضايقة العرب المسلمين واعتدائهم»[2].

كذلك برزت صفة الاعتداء في رحلة الألماني ثيودوريش عند حديثه عن رجال الدِّين المسيحيين الَّذِين يقطنون بالقرب من نهر الأردن، إذ أشار إلى وجود كنيسة على ضفّة النَّهر قطن فيها ستة رهبان، لكن تمَّ قتلهم وقطع رؤوسهم من قبل عماد الدِّين زنكي[3]، وقد عبَّر ثيودوريش عن ذلك بقوله:

---

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدَّسة، ص 109.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدَّسة، ص 107.

[3] عماد الدِّين زنكي بن قسيم الدين آقسنقر أتابك الموصل، تولَّى عماد الدِّين زنكي أتابكية الموصل بعد وفاة والده، واتَّخذها قاعدة للتوسع وتوحيد الجبهة الإسلامية في الفترة (522- 541هـ/ 1128- 1146م)، وكان شجاعاً شهماً غيوراً، ختم حياته بالشهادة. ابن الجوزي(عبد الرحمن بن علي): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد

« وشُيِّدت على ضفّة نهر الأردن كنيسة قطنَ فيها ستة رهبان، حيث تمَّ قطع رؤوسهم من قبل زنكي»[1].

وعلى ما يبدو أنَّ الرَّحَّالة الألماني ثيودوريش قد ساق قصصاً من نسج الخيال وحشاها في رحلته ليدلِّل على اعتداء العرب المسلمين وهمجيتهم، وقد ورد ذلك عند حديثه عن قدوم عدد من الحُجَّاج المسيحيين إلى بيت المقدس، غير أنَّهم وجدوا غاصة بالعرب المسلمين، ولم يتمكَّنوا من دخولها، ولمْ يكن معهم طعام أو شراب، وعندما أدرك العرب أنَّهم عاجزون عن المقاومة ذبحوهم جميعاً، وذكر أيضاً أنَّه عندما يُقرِّر المرء مغادرة المدينة المُقدَّسة باتِّجاه الغرب عند البوَّابة المعروفة ببرج داوود، هناك طريق يؤدِّي إلى كنيسة ويخطو المرء خطوات هابطاً إلى كهف قرَّر العرب أنْ يحرقوا فيه كافَّة جُثث أولئك الحُجَّاج غير أنَّ العناية الإلهية أرسلت أسداً ألقى بجميع تلك الجثث في الكهف[2].

وإذا ما أتينا إلى تحليل الرِّواية السَّابقة يُلاحظ أنَّ عنصر الخيال قد لعب فيها دوراً كبيراً، ومن الواضح أنَّها ترجع إلى ما قبل نجاح الصَّليبيين في

القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م، ج10، ص121؛ ابن الأثير(علي بن ابي الكرم محمد): التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح: عبد القادر طليمات، جامعة عيش شمس، مصر، القاهرة، د.ت، ص26، 55؛ الأصفهاني(محمد بن محمد): تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت، 1980م، ص187.

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة ، ص109.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص55.

السَّيطرة على بيت المقدسة سنة (492هـ/ 1099م)، خاصَّة أنَّ ذلك الرَّحَّالة أشار فيها إلى وجود أعداد كبيرة من العرب عندما قدِم الحُجَّاج إليها، ومن جهة أخرى فإنَّه لمْ يُحدِّد تاريخاً مُعيَّناً لتلك الحادثة، فضلاً على أنَّ القسم الخاص بالأسد ودوره يدل بجلاءٍ على أنَّ الرِّواية برُمَّتها من نسج خيال الحُجَّاج البسطاء في عصر سادت فيه الأساطير والغيبيَّات على العقول، وتراجع فيه الاتِّجاه العقلاني في أوروبا خلال العصور الوسطى[1].

2- الوثنيَّة والكفر[2]:

وهي سمة اعتاد الرحالة الأجانب على نعت العرب المسلمين بها[3]، وربَّما القصد منها تكفير كل الَّذِّين لا يؤمنون بالمسيحيَّة، وإذا ما أتينا لدارسة

---

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص188.

[2] وردت هذه الصفة عند أغلب الرَّحَّالة الأجانب الذِّين زاروا بلاد الشَّام خلال فترة الاحتلال الصّليبي فمثلاً الرَّحَّالة الإنكليزي جون ماندفيل الذي زار بلاد الشام خلال الفترة (722- 756هـ/ 1322- 1355م)، اتَّبع نهج سابقيه من الرَّحَّالة في إطلاق صفات ونعوت على المسلمين اتّسمت بالسلبية، ولا سيَّما أنَّه نهج أسلوب معاصره الرحالة أودوريك أوف بوردينون. ماندفيل(السير جون): أسفار السير جون ماندفيل ورحلاته، تر: أنس الذهبي و رنا جزائري، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2012م، ص43. بوردينون(أودوريك أوف): رحلة الفرير أودوريك، تح: جوناثان بولارد، لندن، ط1، 1900م، ص356، 357.

Mandeville. J; Voyages And Travels, Edited By Artgur Layard, D. Appleton & Co, New York, 1901, p 81.

[3] مثالها عندما وصف الرحالة الرُّوسي فيتلوس المسلمين بأنَّهم وثنيون وكفار، مؤكِّداً معاداتهم المسيحيَّة، ومثالها قوله في رحلته: « باتِّجاه الشرق من القدس توجد كنيسة

هذه الصفة كما أوردها الرحالة الإنكليزي سايلوف، نجد أنَّه فقد أطلق على المسلمين صفة الوثنيَّة والكفر في مواضع عدَّة من رحلته، وهو بذلك يقصد الحديث عن عقيدة المسلمين، لأنَّه بحدِّ تعبيره أنَّ كلّ شخصٍ لا يؤمن بالمسيح وآلامه فهو كافرٌ ووثنيٌّ، وربَّما قصد سايلوف من ذلك سلب صفة الإيمان عن المسلمين، ليُعطي تبرير لمشروعية الحروب الصَّليبيَّة، وليوضِّح صورة الصِّراع العربيّ الإسلاميّ– الصَّليبيّ خلال فترة زيارته للأماكن المُقدَّسة في فلسطين، وعلى ما يبدو أنَّ هذا الأمر يُعدُّ بحكم الدَّافع التَّشجيعيّ للمسيحيين لتخليص ما تبقَّى من أماكن تحتوي على المُقدَّسات المسيحيَّة من أيادي قومٍ لا يؤمنون بآلام السيد المسيح، ولا يُقدِّسون مريم العذراء، (على حد تعبيره)، فالمسلمون حسبما رأى سايلوف وثنيين يكنُّون كلّ العداء للمسيحيين، ولكل من يعبد الله (الرَّب يسوع– حسب رؤية سايلوف)، وقد وردت الإشارة في رحلته " وصف الأراضي المُقدسة " عن وثنية المسلمين بقوله: « وهي بلاد تتَّسم بالعداء للمسيحيين، ولا تتَّسم بالودِّ لكلَ من يعبد الله»[1].

ويبدو أنَّ تلك الإشارة التي وردت في رحلة سايلوف مرجعها إلى طبيعة تلك المرحلة التَّاريخيَّة ذاتها، والتي حوت قدراً كبيراً من التعصُّب من

صغيرة، خصص مذبح عظيم القدسية للصليب المقدس، وقد حفظتْ قطعة كبيرة من الخشب نفسه في علبة جميلة بحيث يمكن رؤيتها بسهولة ووضوح، وهذه القطعة مغطاة بالذهب والفضة والجواهر، وعندما تتطلب الحاجة يحمل المسيحيون هذا الرمز المقدس ضد الوثنيين في المعركة». فيتلوس: وصف الأرض المقدسة، ص66.

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص41.

جانب الصَّليبيين على نحو خاص ضدَّ كلّ ما هو غير مسيحي[1]، وللتدليل على ذلك الاتِّجاه التَّعصُّبي ما ذكره سايلوف بذكره عبارة " بلاد العرب" بقوله: « وعلى الجانب الآخر من الأردن توجد بلاد العرب، وهي التي تُناصب المسيحيين عداءً شديداً ولا تصادق كلّ الَّذِّين يؤمنون بالله»[2].

كذلك وردت صفة الوثنيَّة في رحلة سايلوف عند حديثه عن التَّراتيل الدِّينية التي أقامها المسيحيين في الذِّكرى السَّنويَّة للسيطرة على بيت المقدس من أيدي العرب المسلمين، إذ قال: « اللهُ القادر الأبديّ الَّذي أنقذَ بيت المقدس برحمته الفائقة من أيدي الوثنيين وأعادها للمسيحيين، نتوسَّلُ ونتضرَّعُ إليكَ، وتساعدُنا، حيثُ تحفظ هذا اليومُ في كلِّ سنةٍ، وقد يكونُ مُستحقَّاً تحقيق السَّعادة لبيت المقدس المُقدَّسة بواسطة المسيح ﷺ، أيُّها السَّيد نحنُ نتوسل إليك، تقبَّل هذا القُربانُ الَّذي أحضرناهُ بتواضع ...، نحنُ الَّذِّين نحتفظُ بقدَّاسة هذا اليومُ حيثُ أنقذتَ بيت المقدس من أيدي الوثنيين»[3].

وبالمقارنة برزت عدائيَّة الرَّحَّالة الألماني ثيودوريش وحقده على المسلمين بدافع تشجيعي للحروب الصَّليبيَّة من خلال نعته المسلمين بالوثنية في أكثر من موضع من رحلته، وهو بذلك يهدف إلى تبيان أنَّ المسلمين هم أعداء للمسيحيين، وكل من يؤمن بالمسيح عليه السَّلام وآلامه.

---

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص45.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص41.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص144، 115.

وقد تجلَّت صفة الوثنية في رحلته عند حديثه عن كنائس القدس، وعن الصليب المُقدَّس الذي يحمله الصَّليبيون في حروبهم ضدَّ الوثنيين(المسلمين) على حد تعبيره، إذ عبَّر عن ذلك قائلاً: « وفي بيت المقدس، وباتِّجاه الشَّرق منه، توجد كنيسة صغيرة ذات قُدسيَّة خاصَّة، خُصِّص مذبحٌ عظيمُ القُدسيَّة للصليب المقدَّس، وقد حفظتْ قطعة كبيرة من الخشب نفسه في علبة جميلة بحيث يمكن رؤيتها بسهولة ووضوح، وهذه القطعة مُغطَّاة بالذهب والفضة والجواهر، وعندما تتطلَّب الحاجة يحمل المسيحيون هذا الرَّمز المُقدَّس ضدَّ الوثنيين في المعارك»[1].

كما برزت سمة الوثنيَّة عند ثيودوريش عندما تناول في رحلته الحديث عن الكنائس المسيحيَّة المُقدَّسة بالقرب من بيت المقدس، ولا سيَّما كنيسة جبل صهيون[2]، إذ ذكر أنَّ الكنيسة كانت مُحصَّنة جداً خوفاً من هجمات الوثنيين(المسلمين)، وقد عبَّر عن ذلك بقوله: « وكنيسة جبل صهيون كنيسة جميلة على شُرفة عالية، لكنَّها مُحصَّنة جيدًا بالأسوار والأبراج، والشُّرفات ذات الفتحات ضدَّ هجمات الوثنيين»[3].

---

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص71.

[2] مثالها قول: الرَّحالة الألماني بورشارد دي مون سيون عن كنيسة القدِّيسة مريم في جبل صهيون: « والكنيسة محصنة جيداً بالأسوار والأبراج والشرفات ذات الفتحات ضد هجمات الوثنيين». بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص95.

[3] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص95.

وكذلك وردت صفة الوثنيَّة في رحلة ثيودوريش عند حديثه عن مدينة عكَّا، إذ أشار إلى لفظة الوثنيَّة عند ذكره أنَّ كل من يحاول مُهاجمة المدينة من الوثنيين[1] فمصيره العمى والطاعون، إذ قال: « وعكَّا مدينة جميلة، وهي الآن بيد قومنا المسيحيين، وهم أصحابها الحقيقيين، وكانت قبل ذلك مُغتصبة، لكنْ بفضل الرَّب يسوع، وبحمده وبنعمته تمكَّن أبنائنا من استعادتها إلى أصحابها الحقيقيين، وكل من يحاول من الوثنيين الاقتراب منها فإنَّه يُصاب بالعمى والطاعون»[(2)].

أما لفظة الكُفَّار فقد تكرَّرت مرَّات عدّة في رحلته وقد بدا ذلك واضحاً من خلال حديثه عن وصف كنيسة السَّيد المسيح (الصعود) على جبل الزيتون[(3)]، إذ ذكر أنَّ المسيحيين قاموا بتحصين الكنيسة جيداً خوفاً من هجمات الكفار(المسلمين)، فقال في ذلك: « والكنيسة مُحصَّنة بقوَّة ضدَّ

[1] مثالها وصف الرحالة الإنكليزي جون ماندفيل ماندفيل للمسلمين بالوثنية عند حديثه عن القدس، إذ قال: « والآن يوجد الوثنيون في هذه الأرض التي يحكمونها منذ أكثر من أربعين عاماً، كما كان يوجد في القدس عدد من قبور الرجال المقدسيين والنساك المقدسيين، الَّذين تحدَّث عنهم كتاب حياة أبينا، وهم الآن موجودون في أيدي الوثنيين». ماندفيل: أسفار السير، ص104، 107.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص28.

[3] مثالها ما قاله الرَّحَّالة الرُّوسي دانيال الراهب: « بالقرب من ضريح العذراء المقدَّسة مغارة صغيرة منحوتة في الصخر، ولها مدخل منخفض لدرجة، ويتخذ داخل المغارة شكل كنيسة صغيرة، مغطاة بقطع من الرخام الجميل، ولكن المكان في الوقت الحاضر أتلفه الكفَّار الوثنيين». دانيال: وصف الأرض المقدسة، مقدمة الرحلة، ص40.

الكفَّار، وهي مُحصَّنة بالأبراج سواء منها الكبيرة أمْ الصَّغيرة، وكذلك الأسوار، والجدران المُفتوحة من الأعلى، فضلاً عن الدَّوريات الليليَّة»[1].

3- مغتصبون:

آمنَ المسيحيونَ بأنَّ الأراضي المُقدَّسة في بلاد الشَّام هي من حقِّ المسيحيين المؤمنين، لأنَّها مُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ المسيح ﷺ، وإنَّ المُسلمين اغتصبوها اغتصاباً، ولا حقَّ لهُم بها، ومن هُنا يجبُ على المسيحيين استردادها، وإعادة الحقِّ إلى نصابهِ.

فالرَّحَّالة الإنكليزي سايلوف عبَّر عن وجهةِ نظر أبناء ملَّتهِ حينَ صوَّر المُسلمين بأنَّهُم مُغتصبين لبيت المقدس، وأنَّ ما فعلهُ الصليبيين في الحملةِ الصليبيَّة الأوَّلى سنة (492هـ/ 1097م)[2] كان تحريراً للمدينة المُقدَّسة من سلطة المُسلمين، وإعادتها إلى حُضنِها الدافئ، أيّ الحُضن المسيحي، فقال: « عندما وقعتْ المدينة في الأسرِ لفترةٍ طويلة تحتَ حُكم المسلمين الَّذين ينتمون لأجناسٍ مختلفة، فإنَّ المدينة حُرِّرتْ من قبل الجيش

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص103.

[2] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص137؛ ابن الأزرق الفارقي(أحمد بن يوسف): تاريخ الفارقي، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب، بيروت، 1974م، ج7، ص268؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص283؛ ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص82؛ نهاية الأرب، ج27، 258؛ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج2، ص211؛ ابن خلدون(عبد الرحمن 808هـ/ 1406م): تاريخ ابن خلدون مع المقدمة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م، ج5، ص21.

المسيحي إحياءً لذكرى أقرُّوها، وهُم يحتفلونَ بذلك بعد تجديد تكرُّس الكاهن بطقوس دينية مُبجَّلة، وذلك بالغناء في بداية صلاة القدَّاس، والقدَّاس العُلى للتكريس»[1].

وتجلَّت هذه النظرة للمُسلمين من التراتيل التي تُقال في هذه الذكرى، وقد حضرَ الرحَّالة سايلوف إحدى هذه التراتيل في الذكرى السَّنويَّة، وهم يحمدون فيها الله على هذا التَّحريرُ، ومنها: « اللهُ القادر الأبديّ الَّذي أنقذَ بيت المقدس برحمته الفائقة من أيدي الوثنيين وأعادها للمسيحيين، نتوسَّلُ ونتضرَّعُ إليكَ، وتساعدُنا، حيثُ تحفظ هذا اليومُ في كلِّ سنةٍ، وقد يكونُ مُستحقاً تحقيق السعادة لبيت المقدس المُقدَّسة بواسطة المسيح ﷺ، أيُّها السيد نحنُ نتوسل إليك، تقبَّل هذا القُربانُ الَّذي أحضرناهُ بتواضع...، نحنُ الَّذين نحتفظُ بقدَّاسة هذا اليومُ حيثُ أنقذتَ بيت المقدس من أيدي الوثنيين»[2].

وبالمقارنة وصف الرحَّالة الألماني ثيودوريش المسلمين بأنَّهم مُغتصبون للأراضي المُقدَّسة، ودفعته نظرته الدِّينيَّة الحاقدة إلى وصف المسلمين باغتصاب الأراضي المقدَّسة، إذ وصف استعادة الصليبيين لها في حروبهم المُقدَّسة، باستعادة الحق المُغتصب، وتجلَّى ذلك في حديثه عن ضريح جودفري الذي قاد الحملة الصَّليبية لاحتلال بيت المقدس، وتجلَّى ذلك

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة ، ص71.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص144، 115.

بقوله: « وخلفَ هذا يقع الضَّريح الثالث، وهو يعودُ إلى شقيق الملك جودفري نفسه الَّذي بوساطة سيفه وحكمته استعاد مدينة بيت المقدس، التي تمَّ اجتياحها من قبل المسلمين والأتراك، وقد أعادها للمسيحية»[1].

كما تجلَّت هذه الصفة عند حديثه عن استعادة واسترداد الصَّليبيين لمدينة بانياس وذلك سنة (555هـ/ 1161م)[2]، فقال ما نصَّه: « وبفضل الرَّب يسوع وبحمده، استردَّ أبناء ملَّتنا المسيحيين حقَّهم المُغتصب في بانياس»[3].

ويبدو أنَّ اقتناع ثيودوريش بأنَّ المسلمون مغتصبين هو الذي دفعه إلى تجاهل الوجود الحضاري للعرب المسلمين، وبدَا ذلك واضحاً عند تناولهم لعمارة بعض الأماكنِ المُقدَّسة التي ترتبط بالمسلمين، فتجاهل طرازها المعماريّ الإسلاميّ، وركَّز في وصفه على الطِّراز المعماريّ المسيحي، إذ جعلَ قُدسية الأرض مُرتبطة بالديانة المسيحيَّة فقط، وتجلَّى ذلك في حديثه عن كنيسة ضريح المسيح ﷺ، فقال: « الأثر الوحيد الذي ما يزالُ قائماً، ثمَّ ما سنتحدث عنه بخصوص الأماكن المُقدَّسة التي على أساسها تُسمَّى المدينة نفسها مُقدَّسة، لذلك فكَّرنا أنَّه من الصَّواب البدء بأقدس المُقدَّسات، أيّ من ضريح السَّيِّد المسيح، فتُعرف كنيسة الضَّريح المُقدَّس»[4].

---

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص73.

[2] خبر احتلال الفرنج لمدينة بانياس عند: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص317؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج37، ص32.

[3] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص134.

[4] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص61.

وينطبقُ الأمر ذاتهُ عند حديثه عن قُبَّة الصَّخرة وطرازها المعماري، وشكلها المُثمَّن، فلمْ يشرْ إلى اليد العربيَّة الإسلاميَّة التي أسهمت في جعلها على قدرٍ كبير من الرَّوعة والجمال، وإنَّما اكتفى بالوصف والحديث عن ارتباطها بالدين المسيحيّ، ونقل ما على جوانبها من نقوش مسيحيَّة، فقال: « من الواضح أنَّ المعبدَ نفسُه ذو شكلٌ ثُمَانِي من الجزء الأسفل، أمَّا الجزءَ العلوي، فهو مُزيَّنٌ بالرُّخام الجميل جداً حتَّى مُنتصفه، ومن المنتصف حتَّى جوانبه العُليا، حيثُ توجد الرووف المُزيَّن بأعمال الفُسيفساء بشكل رائع جداً، ويُشكِّل السور العلوي دائرة ضيقة مُثبَّتة على أقواس داخل المبنى، وتدعمُ رووفاً رصاصيَّاً له عند قمَّته كُرة كبيرة فوقَ صليب مُذهَّب»[1].

وربَّما جعلهُ تعصَّبهُ الدِّيني يُجري مُقارنة بين النَّمط المعماريّ الأوروبيّ، والنمط الإسلامي فيما يخصُّ وصف مدينة القدس بتجاهل واضح للأيدي العربيَّة الإسلاميَّة التي أسهمت في بنائها، فقال: « كلُّ شوارع المدينة تقريباً مرصوفة بحجارة مُقنطرة ومثقوبة بنوافذ عديدة لتمرير الضوء، أمَّا المنازلَ فهي مُدعَّمة بأعمال حجريَّة ذات شكلٍ رائعٍ، وهي لا تنتهي بطوابقٍ علويَّة مكشوفة من الأعلى طبقاً لأسلوبنا، وإنَّما يقيمونها مُستوية، وذات سطوحٍ مُنبسطة»[2].

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص81، 82.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص59.

4- اللصوصية وقطع الطريق[1]:

وهي من الصفات التي اعتاد الرَّحَّالة الأجانب على نعت العرب المسلمين بها[2]، لإظهارهم بمثابة لصوص[3]، ومتعدِّين يقومون بأعمال السَّلب والنَّهب، ولعل الرحالة الإنكليزي سايلوف كان أحد هؤلاء الَّذِّين

---

[1] اعتاد المؤرخون الأوربيون على وصف المسلمين الذِّين يكمنون للصليبيين بأنَّهم لصوص وقطاع طرق، وأنَّ عملياتهم لم يكن الهدف منها سوى السَّلب والنَّهب، وقتل الحجاج المسيحيين، وكأنَّهم بذلك ينكرون حق المقاومة الإسلامية ضد الغزو الصليبيين، وهي بلا شك أوصاف مخالفة للحقائق التاريخية التي تؤكد أن العرب المسلمين، كانوا يوجهون جهودهم لمحاربة الجنود والفرسان الصَّليبيين، وليس الحجَّاج المسيحيين الذي كفل لهم الإسلام حق ممارسة شعائر. عبدالمنعم(سرور علي): طريق يافا- القدس ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي (492- 548هـ/ 1099- 1153م)، جامعة عين شمس، 2009م، ص138.

[2] كذلك وردت صفة اللصوصية وقطّاع الطُّرق التي أطلقها دانيال على المسلمين عند حديثه عن بيت لحم، إذ قال: « استيقظنا مبكرين، لكي نتقدَّم إلى بيت لحم، وسرنا تحت حماية أحَّد زعماء المسلمين حتى بيت لحم، وقد صحبنا إلى كل مكان، و بدون مساعدته لمْ يكن ليتسنَّى لنا عبور تلك الأماكن، بسبب هجمات قطّاع الطُّرق في الجبال، وهكذا وصلنا ونحن سعداء إلى مدينة بيت لحم الطاهرة». دانيال: وصف الأرض المقدسة، ص 82.

[3] وردت الإشارة إلى ذلك بصفةِ اللصوصيَّة في رحلة فريسكو بالدي، فذكر أنَّ المُسلمين لصوصٌ، وذلك عند حديثهِ عن الكنيسة الواقعة بين نهر الأُردن وأرض أريحا، فقال: « وعلى نهرِ الأُردن وجدنا كنيسة القدِّيس يُوحنَّا المعمدان، وهي جميلةٌ ومتينةٌ لكنَّها بحاجة لأنْ تُحمَى بالأسوارِ، ذلكَ أنَّها تقعُ في منطقةٍ فيها أعتَى لصوصُ تلكَ المنطقة وهم المسلمون، وبتنا الليلَ هُناك، وكانَ علينا أنْ نحرُسَ المكان كلَّ الليل». فريسكو بالدي: رحلات إلى الأراضي المقدسة، ص108.

استخدموا لفظة (لصوص – قطاع طرق) في مواضعٍ عدَّة من رحلته، ولعلَّ من أبرز تلك المواضع قوله: « وذهبنا من يافا إلى مدينة بيت المقدس في رحلة استغرقت مسيرة يومين عبر طريق جبليَّة وعرة وخطرة جداً، حيثُ أنَّ المسلمين اعتادوا أن ينصبوا الكمائن والمصائد للمسيحيين، إذ إنَّهم يختبئون في الأماكن الجوفاء من الجبال والكهوف الصَّخريَّة، وكانوا يراقبون ليلاً ونهاراً حتَّى تسنح لهم الفرصة لمهاجمة مجموعة من المسافرين، أو الهجوم على أولئك الذي يتخلفون وراء جماعتهم بسبب التَّعب وفي لحظة ما يمكن رؤيتهم في كل مكان ثمَّ يختفون كليَّة، ويمكن لأي شخص يقوم بمثل هذه الرّحلة أنْ يرى ذلك»[1].

وبالمقارنة تجلَّت هذه الصّفة في رحلة الرَّحَّالة الألماني ثيودوريش، إذ تحدَّث عن انتشار ظاهرة قطع الطُّرقات وممارسة اللصوصيَّة من العرب المسلمين، وخاصّة في الطريق الواقع بين بيت المقدس ونهر الأردن، وكذلك بين القدس ويافا، وقد عبَّر ثيودوريش عن ذلك بقوله: « وفوق جبل الزيتون على طول الطَريق الممتد من القدس إلى نهر الأردن تتواصل هجمات اللصوص وقطاع الطُّرق من العرب المسلمين»[2]. وقوله أيضاً عند ذهابه إلى بيت لحم: « وسرنا مُتَّجهين إلى بيت لحم مُصطحبين معنا بعض الأدلاء والحُرَّاس من المعبد خوفاً من هجمات اللصوص وقطاع الطُّرق»[3].

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص23.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص139.

[3] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص131.

5- سراقنة[1] - السارازان(Saracens):

اختُلِفَ في تفسيرِ معنى هذه اللفظة فمنهم من قال: أنَّ اللفظة مُركبة من" سارة" زوج إبراهيم، ومن لفظ" قين" فيكونُ المعنى هو عبيد سارة، وقال آخرون: إنَّه مُشتقٌّ من سرقَ، فيكون المُراد من سراكين، أو سراقين إشارةً لكُثرة غزوهم وسطوتهم، بينما فسرها آخرين بأنَّها مأخوذةٌ من شرقو، والمقصودُ بها سُكَّان الصحراء أو أولاد الصحراء[2].

ويعد الرحالة الإنكليزي سايلوف أكثر الرَّحَّالة الذين وصفوا المسلمين بوصف السَّرقنة، وأكثرهم استخداماً للفظ السارزان[3]، ولعلَّ من أبرز المواضع في رحلته" وصف الأراضي المقدسة التي وردت فيها لفظ السراقنة، قوله عند حديثه عن الطريق ما بين بيت المقدس ونهر الأردن: « تتصف الطريق من

---

[1] لا بدّ من الإشارة أنّ الرَّحلات الأجنبيَّة المتأخِّرة والتي حدثت خلال العصر المملوكي أي بعد تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين سلكت نهج الرّحلات الأجنبية في العصور السَّابقة، فاستمرَّ هؤلاء الرَّحَّالة بإطلاق صفات تدلّ على التَّعصُّب الدِّيني المسيحي من قبل هؤلاء ضد العرب المسلمين، ولعلَّ من أشهر هذه الرّحلات الرحلة المشتركة لاثنين من الرحالة الإيطاليين وهما ليوناردو فريسكو بالدي وسيمونه سيغولي والذِّين ارتحلا إلى الأراضي المقدَّسة في فلسطين خلال الفترة(786- 787هـ/ 1384-1385م). بالدي، سيغولي(ليوناردو، سيمون): رحلات إلى الأراضي المقدسة، تر: شيرين إيبش، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2010م، ص21؛ محمود (إبراهيم سعيد فهيم): حركة الحج الأوروبي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى (690- 923 هـ)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007م، ج 2، ص 132.

[2] علي(جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1976م، ج1، ص27، 28.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص44، 45، 49، 51، 66.

البيت المقدَّس إلى الكنائس القريبة من نهر الأردن بأنَّها وعرة وصعبة، ففي مسالكها وبالقرب من جبالها الوعرة تلاحظ أعداداً كبيرة من السراقنة الَّذِّين اعتادوا على مهاجمة الحجَّاج»[1].

وبالمقارنة وردت الإشارة إلى لفظة السارزان المحرَّفة عن لفظة السَّراقنة في رحلة الألماني ثيودوريش عند حديثه عن مدينة يافا، إذ قال: « وبالقرب من يافا يقطن كثيراً من قوم السارزان»[2].

وقوله عن الكنائس المسيحية القريبة من نهر الأردن[3]: « وبالقرب من منابع نهر الأردن حيث توجد كنيسة يوحنا حيثُ أقام السراقنة كثيراً من الحصون»[4].

وأيضاً عند حديثه عن مدينة القدس، إذ قال: « و كانت بيت المقدس تابعة لقوم السراقنة لكن بحمد الله تمَّ استردادها»[5].

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص 77.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص87.

[3] مثال ذلك ما قاله الرحَّالة يوحنا الورزبرجي عندما تحدَّث عن نهر دان في سفح جبل لبنان، فقال: « ويتدفقُ دان من مصدرٍ مهمٍّ..، ونظراً لوقوع دان في وسط ميدان دُعي السهل باسم لُغة السراقنة». الورزبرجي: وصف الأراضي المقدسة، ص83، 107.

[4] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص 98.

[5] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص 101.

وكذلك عند حديثه عن مدينة بيت لحم[1]، قائلاً « وفي بيت لحم يقيم السراقنة الَّذِّين يبجلون أماكن العبادة المسيحية فيها»[2].

خاتمة:

مما سبق يمكن أن نتوصَّل إلى النتائج التالية:

– إنَّ كافَّة كتابات الرحَّالة الغربيين قد دَخَلهَا شيءٌ قليل أو كثير من الزيف المُتعمَّد، لإدراكهم أنَّ الَّذين يَكتبونَ عنهم(العرب المسلمين) لا يقرأونَ كتاباتهم وبذلك يطعنُوا في شهاداتهم، لتحقيق أهدافها في الدِّعاية للسيطرة والاحتلال وخاصة في عصر الحروب الصليبية.

– إنَّ كلَّ ما قدَّمه أيُّ رحَّالة غربي لا يزيدُ على كونهِ رُؤية لظاهرة عربيَّة إسلاميَّة بعيون غربيَّة.

– اتَّبعتْ الرِّحلات الأجنبيَّة إلى بلاد الشام في العصر المملوكي نَهجاً مُتشابهاً في عمليةِ الترويج للحروب الصليبية، واعتمَدت على أساليب الإقناع والتأثير، وضربتْ على الوترين الديني والعاطفي، فكانتْ بحقٍّ تجسيداً للوعي المسيحيِّ الغربيِّ، وللصُورة النمطيَّة المغروسة في أذهانهم عن الأماكن المُقدَّسة، وعن المسلمين المُغتصبينَ لها حسبُ أفكارهُم.

---

[1] تجلَّت هذه اللفظة السَّراقنة عند الرحالة الإيطالي فريسكو بالدي عندما تحدَّث عن أعياد المسلمين، إذ قال: « يقيم السَّراقنة عيداً عظيماً يوم الإثنين». بالدي: رحلات إلى الأراضي المقدسة، ص41.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص104.

– لعلَّ من أهمِّ دوافعِ رحلاتهم زيارة الأماكن المُقدَّسة التي ارتبطت بسيرة السيد المسيح، وفي مقدمتِها كنيسة القيامة.

– اتَّفقت الرِّحلات الأجنبية باعتمادها في وصفِ الأماكن المُقدَّسة على الكتاب المُقدَّس، وربطُها بالتاريخ المسيحي، واعتمدوا على المُشاهدة في وصف المدن.

– إنَّ المعلومات التي قدَّمتها الرِّحلات الأجنبيَّة عن حياة العرب والمسلمين، لا سيَّما ما يخصُّ الجوانب الاجتماعيَّة كانت ضئيلة، كما أنَّ رحلاتهم لم تُركِّز على الجانب الحضاري والتاريخي لبيت المقدس الإسلامية، ولعلَّ أهمَّ ما ركَّزَ عليه الأجانب ذكرَهُم بعض أخلاقِ المسلمين، وصفاتِهم، ونعُوتِهم، إذ نَعَتوهم بنعوتٍ سلبية تكشف عن الخلفية العدائية عندهم، ودليلُ ذلك أنَّهم لم يتحدثوا عن المجازر البشعة التي ارتكبَها الصليبيين ضدَّ السُكان العرب والمسلمين الآمنين، وخاصة تلك المجازة التي ارتكبَها الصليبيون في القُدس عند احتلالهم المدينة، وبذلك يُمكن مُلاحظة غلبة التكوين الديني على عقليةِ مُعظم الرحَّالة الأجانب، على نحوٍ جعلَهم يُهملونَ الناحية الاقتصادية، والفكرية عند العرب المسلمين.

– وبذلك تجاهلتْ أغلبُ الرِّحلات الأجنبية في مضامينها الوجود الإسلامي في بلاد الشام، وقدَّم أصحابها صورة مُشوَّهة عنهم، فوصفوهم بأنَّهم سراقنة، ووثنين، وأعداء، ومغتصبين، وهمجيين، يَعتدونَ على الحُجَّاج المسيحيين،

ويُنَكِّلون بهم، ولم يقدِّموا فيها سوى الصورةِ النمطيَّة عن المسلمين، ومردُّ ذلك؛ أنَّ مُعظم أولئك الرحَّالة لمْ يختلطوا بالمُسلمين أو يحتكُّوا بهم بشكل مباشر، فكتبُوا عنهُم عن بُعدٍ، فخلتْ مُعظم رحلاتِهم من الموضوعية المُبرمَجُ لها من ناحيتهم.

– ركَّز مُجمل الرحَّالة الأجانب في رحلاتِهم على إبراز صورة إيجابيَّة للصليبيين الَّذين استوطنوا مُدن بلاد الشام، فَوصَفوا قوَّتَهم العسكرية، ومنعة حُصونهم، وغناهم الفاحش، ومعالمهم الحضارية، وعناية ملوكهم وقادتهم بأبناء ملَّتهم، ولا يُخفى ما في هذا الوصف من تشجيع على القدوم إلى هذه البلاد.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- قائمة المصادر:

1- المصادر العربية:

- **ابن الأثير(علي بن أبي الكرم ت 630هـ/1232م):**

التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح: عبد القادر طليمات، جامعة عيش شمس، مصر، القاهرة، د.ت.

الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف العقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2003م.

- **ابن الأزرق الفارقي(أحمد بن يوسف):**

تاريخ الفارقي، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب، بيروت، 1974م

- **الأصفهاني(محمد بن محمد):**

تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت، 1980م.

- **ابن الجوزي(أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت 597هـ/1200م):**

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.

- **ابن الحريري(أحمد بن علي ت 926هـ/1520م):**

الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح: سهيل زكار، دار الملاح، دمشق، ط1، 1981م.

- **الخزرجي(علي بن الحسن):**

العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، دار الآداب، ط2، بيروت،1983م.

- **ابن خلدون(عبد الرحمن 808هـ/ 1406م):**

تاريخ ابن خلدون مع المقدمة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م.

- **ابن خلكان(أحمد بن محمد ت 681هـ/1282م):**

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1969م.

- **الدويهي(إسطفان ت 1116هـ/ 1704م):**

تاريخ الأزمنة، تح: بطرس فهد، دار لحد خاطر، لبنان، ط1، 1900م.

- **الذهبي(محمد بن أحمد ت 748هـ/1347م):**

الإعلام بوفيات الأعلام، تح: مصطفى بن علي عوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1993م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1998م.

ذيول العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.

دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط1، بيروت،1999م.

العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1985م.

- **ابن سعيد المغربي(علي بن موسى ت 685هـ/1286م):**

الجغرافية، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970م.

- **الصفدي(خليل بن أيبك ت 764هـ/1363م):**

أُمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1983م.

الوافي بالوفيات، اعتناء: رمضان عبد التواب، دار فرانز شتاينر، فيسبادن، 1985م.

العظيمي (محمد بن علي ت 556هـ/1161م):

تاريخ حلب، تح: إبراهيم زعرور، دمشق، 1984م.

- **أبو الفداء(إسماعيل بن علي ت 732هـ/ 1331م):**

المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم، محمد عزب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1999م.

ابن ظافر الأزدي (علي بن الحسين):

أخبار الدول المنقطعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

- **القزويني(زكريا بن محمد ت 682هـ/1283م):**

آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادق، بيروت، 1960م.

- **ابن القلانسي(حمزة ت 555هـ/ 1160م):**

ذيل تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط1، 1983م.

- **الكتبي(محمد بن شاكر ت 764هـ/1363م):**

عيون التواريخ، تح: نبيلة عبد المنعم داوود، فيصل السامر، دار الحرية، بغداد، ط1، 1984م.

النويري(أحمد بن عبد الوهّاب ت 733هـ/ 1332م):

نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: محمد ضياء الريس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2007م.

- **ابن واصل(محمد بن سالم ت 697هـ/1298م):**

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: حسين محمد ربيع، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1957م.

- **ابن الوردي(عمر بن المظفر):**

تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م.

2- المصادر الأجنبيَّة المُعرَّبَة:

- **بوردينون(أُودوريك أوف ت 732هـ/ 1331م):**

رحلة الفرير أُودوريك، تح: جوناثان بولارد، لندن، ط1، 1900م.

- **بورشارد(ق7هـ/ 13م):**

وصف الأرض المُقدَّسة، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 1995م.

- **التطيلي(بنيامين ت 569هـ/ 1173م):**

الرحلة، تر: عزرا حداد، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002م.

- **ثيودوريش(ت 588هـ/ 1192م):**

وصف الأماكن المقدَّسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و رياض شاهين، دار الشروق، رام الله– فلسطين، ط1، 2003م.

- **داجيل(ريموند):**

تاريخ الفرنجة غزاة المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1991م.

- **الراتسبوني(بتاحيا):**

رحلة بتاحيا، دار الكتاب الثقافي، تر: فؤاد عبد الرحيم الدويكات، عمان، د.ت

- **الراهب(دانيال ت 516هـ/1122م):**

وصف الأرض المُقدَّسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و داود أبو هدبة، دار الشروق، عمان، ط1، 1992م.

- **سانوتو(مارينو ق 8هـ/ 14م):**

الأسرار، تح: سمر الخادم و بلليغرينو رونكاليا، دار الريحاني، بيروت، ط1، 1991م.

- **سايلوف(ق6هـ/ 12م):**

رحلة الحاج سايلوف إلى بيت المقدس والأراضي المُقدَّسة 1102– 1103م(وصف الأراضي المقدسة)، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، رام الله– فلسطين، ط1، 1997م.

- **سوخم(فون ت 751هـ/ 1350م):**

وصف الأرض المقدَّسة، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، تر: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1999م.

- **سيغولي(سيمون ق8هـ/ 14م):**

رحلات إلى الأراضي المقدَّسة، تر: شيرين إيبش، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2010م.

- **الشارتري(فوشيه ت 521هـ/ 1127م):**

تاريخ الحملة إلى القدس(1095- 1127م)، تر: زياد العسلي، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 1990م.

- **الصوري(وليم ت 581هـ/ 1185م):**

تاريخ الحروب الصليبية والأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2003م.

- **فريسكو بالدي(ليوناردو ق8هـ/ 14م):**

رحلات إلى الأراضي المقدسة، تر: شيرين إيبش، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2010م.

- **فون آخن(ألبرت):**

تاريخ الحملة الصليبية الاولى و مملكة بيت المقدس(1095 - 1120م)، تر: محمد حمدان أحمد، دار الإعصار العلمي للنشر، دمشق.

- **الورزبرجي(يوحنا ت 621هـ/ 1224م):**

وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشيماء، رام الله- فلسطين، ط1، 2011م.

- **الفيتري(يعقوب ت 638هـ/ 1240م):**

تاريخ بيت المقدس، تر: سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ط1، 1998م.

- **فيتلوس(ت 564هـ/1168م):**

وصف الأرض المقدَّسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و فؤاد عبد الرحيم دويكات، مؤسسة حمادة للدارسات الجامعية، إربد- الأردن، 2008م.

- **ماندڤيل(السير جون ت. بعد سنة 756هـ/1455م):**

أسفار السير جون ماندڤيل ورحلاته، تر: أنس الذهبي و رنا جزائري، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2012م.

3- المصادر باللُغة الأجنبيَّة:

- Mandeville. J; Voyages And Travels, Edited By Artgur Layard, D. Appleton & Co, New York, 1901.
- Meisner. M; Hajm, VVurzburg. VVurzburg, 1975.
- Amer. A: Ency VVurzburg, Vol. XX, New Jsrsy, 1981.
- Amer. E: VVurzburg, Vol, XXXIX, U .S. A, 1985, p. 568. ;
Brit. E: VVurzburg, Vol. XXIIV, U. S. A, 1958,.

ثانياً- قائمة المراجع

1- المراجع العربيَّة:

- **إبراهيم(عبد العزيز عبد الغني):**

روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية، دار الساقي، بيروت، ط1، 2013م.

- **إمـام(هنـادي السـيد محمـود):**

مملكـة بيت المقدس فـي عهـد الملـك بلـدوين الأول (494- 512هـ/ 1100-118م)، تقـديم: محمـد مـؤنس عـوض، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م.

- **البيشاوي(سعيد):**

نابلس – الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية، عمان، ط1 ، ١٩٩١م

الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م .

- **حمودي(إمام الشافعي):**

الرؤى والأحلام المقدسة – عصر الحروب الصليبية، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ط1، 2019م

- **توفيق(عمر كمال):**

مملكة بيت المقدس الصليبية، الإسكندرية، ط1، 1958م.

- **الدباغ(مصطفى مراد):**

بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت، 1974م.

- **دهمان(محمد أحمد):**

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.

- **زكار(سهيل):**

الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1999م.

- **محمود (إبراهيم سعيد فهيم):**

حركة الحج الأوروبي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى (690- 923 هـ)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007م.

- **السامرائي(إبراهيم):**

المجموع اللفيف، دار عمار، عمان، 1987م.

- **سعيد(حبيب):**

سيرة بولس الرسول، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م.

- **عبد الله(جوزف):**

منتخبات التواريخ والأثار مما خلفه الرحالة الغربيون حول عكار والجوار، مكتبة السائح، طرابلس- لبنان، 2010م.

- **عبدالمنعم(سرور علي):**

طريق يافا- القدس ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي (492- 548هـ/ 1099- 1153م)، جامعة عين شمس، 2009م.

- **علي(جواد):**

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1976م.

- **عوض(محمد مؤنس):**

الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1992م .

معجم أعلام الحروب الصليبية، مكتبة الآداب القاهرة، 2015م.

- **نعيرات(أسامة):**

اقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي، مؤسسة الأسوار، عكا، فلسطين، ط1، 2002م.

- **النقر (محمد الحافظ):**

كتابات الرحالة الأوربيين عن مملكة بيت المقدس، جامعة آل البيت، المفرق– الأردن، 1999م.

ثانياً– المراجع الأجنبيَّة المُعرَّبة:

- **جونز:**

مدن بلاد الشام، تر: إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط1، ١٩٨٧م .

- **بالار(ميشيل):**

الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، تر: بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2003م.

- **سترانج(لي):**

فلسطين في العهد الإسلامي، تر: محمود عمايري، جمعية المطابع التعاونية، عمان، ط1، ١٩٧٠م.

- **سعيد(إدوارد):**

الاستشراق، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1995م.

- **سميث(جوناثان رايلي):**

حال الصليبيين الذهنية تجاه الشرق، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2007م.

ما هي الحروب الصليبية، تر: محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، القاهرة، 1990م.

- **لويس(أرشيبالد):**

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1960م.

- **رنسيمان(ستيفن):**

تاريخ الحروب الصليبية، ، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م.

الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي
دراسة سوسيولوجية ميدانية على مجموعة من النساء العاملات في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس

طالب الدراسات العليا: أروى عزيز الدقماق
كلية: الآداب – جامعة: تشرين
الدكتور المشرف: عادل ذياب العلي

الملخص

يَتَمَثَّل الهدف الرئيس للبحث في الكشف عن أهم التحديات والمشكلات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي، والتي تعترض طريقها.

ولتحقيق ذلك اختارت الباحثة عينة مكونة من (30) امرأة عاملة في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس، تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة، وقد اعتمدت الباحثة المنهج العلمي بطريقة دراسة الحالة والمقابلة والملاحظة في دراستها. وتم التوصل إلى مجموعة من النتائج التي بينت أهم العوامل التي تدفع المرأة إلى العمل في القطاع غير الرسمي، كما بينت أهم التحديات التي تواجهها سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية أو أسرية أو شخصية. لينتهي البحث بتقديم مجموعة من التوصيات المتعلقة بنتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: العمل، المرأة العاملة، الصعوبات، التحديات، القطاع غير الرسمي.

Difficulties facing women working in the informal sector
A field sociological study on a group of women working in the informal sector in Tartous Governorate

Abstract

The main objective of the research is to reveal the most important challenges and problems facing women working in the informal sector, and which are in their way.

To achieve this, the researcher chose a sample of (30) women working in the informal sector in Tartous Governorate. A set of results were reached that showed the most important factors that push women to work in the informal sector, as well as the most important economic, social, family and personal challenges they face. The research ends with a set of recommendations related to the research results.

key words: Work, working women, difficulties, challenges, the informal sector.

المقدمة:

تزايدت في الآونة الأخيرة نسبة النساء العاملات تزامناً مع متطلبات العصر الحديث حيث أصبح العمل من الأمور التي تفكر بها المرأة بغرض تحقيق الكثير من مطالب الحياة الكثيرة، ولا سيما في ظل الظروف التي تمر بها الأسرة السورية بشكل عام من ظروف معيشية صعبة، وذلك لتلبية الاحتياجات الاقتصادية ورفع المستوى الاقتصادي، فأصبح عمل المرأة أمراً ضرورياً.

وإن تعليم المرأة، ونوع التعليم، وكيفيته، ومتطلبات الحياة الاجتماعية، والقيم السائدة في المجتمع هي التي تؤهل المرأة للعمل وتفرض نوع العمل وآليته، والصعوبات التي تواجهها فيه.

وأمام خروج المرأة للعمل كثرت الصعوبات والتحديات التي تواجهها خاصة المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي، وحاولنا في هذا البحث الحديث عنها وتسليط الضوء عليها.

تعالج الدراسة موضوعها في جزأين أساسيين، يتناول الأول الإطار النظري حيث درس الفصل الأول منه بدايات ظهور الحاجة الفعلية لمشاركة المرأة في التنمية، ودوافع عمل المرأة في القطاع غير الرسمي، والمعوقات والمشاكل التي تواجه المرأة في القطاع غير الرسمي. والفصل الثاني تناول القطاع غير الرسمي بالتعريف والدراسة والحديث عن أهم الاتجاهات النظرية المفسرة لظهوره، بالإضافة إلى واقعه في سوريا.

ويرتبط الجزء الثاني بالدراسة الميدانية، ومنهجيتها وعرض أهم النتائج التي توصل إليها البحث مع تقديم بعض التوصيات المتعلقة بنتائج البحث.

مشكلة البحث:

ارتبط عمل المرأة سابقاً بالعمل التقليدي الذي كان يقتصر على المحيط الأسري والعائلي، ويتمثل في أعمال المنزل وتربية الأبناء ورعايتهم، لكن مع تطور المجتمعات وتغير الظروف الاجتماعية المحيطة بها والتي تتمثل بظهور الحركات الداعية إلى تمكين المرأة اقتصادياً، والتطور الصناعي الذي شهدته الدول الأوربية والثورة الصناعية، إضافة إلى ظروف الحروب والأزمات التي أظهرت الحاجة الملحة لدخول المرأة سوق العمل، لرفع المستوى المعيشي للأسرة والمساعدة في تلبية الحاجات الأساسية، وكذلك أسباب أخرى كرغبة المرأة في العمل لتصبح أكثر تواجداً وحضوراً في كافة أوساط المجتمع لتحقيق ذاتها. إضافة إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الصعبة التي واجهت المجتمع السوري في الآونة الأخيرة، والتضخم الكبير للأسعار مقابل دخل الأسرة، مما شكل حاجة ضرورية لقيام المرأة بالمساعدة المادية لأفراد الأسرة.

ولم يقتصر خروج المرأة إلى العمل على الوظائف الرسمية، وإنما اتجهت إلى القطاع غير الرسمي كذلك، بسبب عدم توفر الوظائف الشاغرة أحياناً، أو تدني المستوى التعليمي للمرأة أحياناً أخرى، فتجد في القطاع غير الرسمي مكاناً لها أكثر من القطاع الرسمي، حيث أصبح له دور كبير في خلق فرص العمل أمامها، وتوليد الدخل، ولكن واجهت المرأة في طريقها العديد من التحديات والعقبات وكثير من الصعوبات والمشاكل، ولم يكن موضوع عملها وخاصة في القطاع غير الرسمي سهلاً ويسيراً، وقد أفادت الملاحظات الواقعية للعديد من النساء التي تعمل في القطاع غير الرسمي تعرضهم لتحديات وصعوبات متنوعة ومختلفة، ومن هنا برزت مشكلة البحث الحالي، وهي محاولة متواضعة لفهم هذه الصعوبات وتسليط الضوء عليها.

وكانت النساء العاملات في محافظة طرطوس في القطاع غير الرسمي، إحدى المجالات المناسبة وبيئة ملائمة للتعرف الدقيق على هذه المشكلة. وعليه تتمحور مشكلة الدراسة في السؤال الآتي:

ما الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث كونه يلقي الضوء على الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي، ويسعى إلى مساعدتها لتخطي هذه الصعوبات قدر الإمكان، كما تظهر أهميته من خلال التوصل إلى العديد من النتائج والتوصيات التي يمكن أن تسهم في حل المشكلة المطروحة، كما وتتجلى أهميته كذلك في تناوله دراسة مشكلات تعترض المرأة التي تعدّ مكوناً مهماً وأساسياً من مكونات الأسرة، التي تشكل بدورها نواة المجتمع.

أهداف البحث:

يسعى البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- التعرف على المشكلات والمعوقات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي
2- معرفة الدوافع التي أدت إلى اتجاه المرأة للعمل في القطاع غير الرسمي
3- التعرف على الآثار الإيجابية والسلبية لعمل المرأة في القطاع غير الرسمي
4- الوصول إلى مقترحات من الممكن أن تساعد في تذليل تلك الصعوبات والعقبات التي تواجهها المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي.

تساؤلات البحث:

التساؤل الرئيس للبحث: ما هي الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس؟

ويتفرع عنه مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1- ما أهم العوامل التي أدت إلى لجوء المرأة للعمل في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس؟
2- ما أهم الصعوبات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس؟
3- ما أهم الصعوبات الاقتصادية التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس؟
4- ما أهم الصعوبات الأسرية التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس؟
5- ما أهم الصعوبات الشخصية أو الذاتية التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس؟

مجالات البحث:

حُدِّدَت مجالات البحث البشرية والمكانية والزمانية وفق الآتي:

المجال البشري: مجموعة من النساء العاملات في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس.

المجال المكاني: شمل البحث مكانياً محافظة طرطوس.

المجال الزماني: تم إنجاز البحث بجميع فصوله خلال الفترة الزمنية من 5/ 7/ 2022 ولغاية الشهر العاشر 2022.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

العمل:

هو المجهود البشري العقلي أو العضلي أو كلاهما، الذي يبذل لقاء أجر معين في سبيل إنتاج السلع والخدمات لمصلحة المجتمع لتحقيق أغراض نافعة في أجهزة الدولة عامة. وبشكل يسهم في خدمة الاقتصاد القومي والتسريع بعملية التنمية في القطر.[1]

وهو كل جهد مشروع يبذله الإنسان ويعود عليه أو على غيره بالخير والفائدة والمنفعة سواء كان جسمياً أو فكرياً.[2]

التعريف الإجرائي: هو أي مجهود يبذل من قبل المرأة سواء كان مادياً أو معنوياً مقابل أجر.

المرأة العاملة:

عرفتها "كاميليا إبراهيم" بأنها المرأة التي تتحمل مسؤولية مزدوجة في أدائها مهنتين رئيسيتين في حياتها، فالأولى دور ربة البيت داخل أسرتها والثانية خروجها إلى العمل قصد تغطية حاجات الأسرة [3]

[1] (غيث، 2005م، ص142)
[2] (خليل، ونوري، 2004م ص275)
[3] (عبد الفتاح، 1982، ص110)

التعريف الإجرائي: هي المرأة التي تعمل داخل منزلها أو خارجه غير عملها كربة بيت، ويكون عملها مقابل أجر معين.

القطاع غير الرسمي:

عرفه "كايت هارت" أول مرة سنة 1971 بوصفه ذلك الجزء من قوة العمل الموجودة خارج سوق العمل المنظم (Jan Breman،1996 ،p، 1870)

وعرفه "بورتس" بأنه القطاع الذي يشمل مجموعة الأنشطة الرامية إلى كسب الدخل مع استبعاد الأنشطة المتعلقة بالعمالة التعاقدية والتي ينظمها القانون. (شمسة أوزار، سنة 1996، ص16).

ويعرفه (صبحي) بأنه: "ذلك التنظيم الذي يهتم بالدوافع والاعتبارات الخاصة بالأفراد والتي لا يمكن الإفصاح عنها بطريقة رسمية مخططة على أساس نشأتها تلقائياً والتي تتبع احتياجات الأفراد العاملين في المنظمة".[4]

كما تعرفه (منظمة العمل الدولية) بأنه: "مشاريع تجارية خاصة غير منظمة بصورة قانونية" وغير مسجلة وفقاً لأي شكل من الأشكال المحددة للتشريع الوطني.[5]

المشكلات:

يرى جيروم مانيس أن المشكلات هي تلك الحالات أو الظروف الاجتماعية التي تحدد عن طريق البحث العلمي والقيم العلمية باعتبارها معوقة للخير الإنساني، وتعرف بأنها الأفعال أو الحالات التي تخالف القيم والأعراف السائدة، والتي تحدث ضرراً نفسياً أو

[4] (صبحي، 2001، ص78)
[5] (منظمة العمل الدولية، "Decent work and the informal economy"، ص126).

مادياً على أفراد المجتمع أو فئة من فئاته ويشعر بها قطاع كبير من السكان ويسعون لإيجاد حل جماعي لها ولها أسباب ونتائج على مستوى الأفراد والمجتمعات[6]

الصعوبات:

لغوياً:

يعرفها معجم اللغة العربية المعاصرة: •صعُبَ/ صعُبَ على .

•عقبة، ما لا يمكن التَّغلُّب عليه "وجد صعوبات كثيرة في عمله– ينجح بصعوبة كبيرة– لم تعترضه أيّةُ صعوبة– أحسّ الطِّفلُ بصعوبة في التَّعلُّم"، مهَّد الصعوبات :ذلَّلَها .

إجرائياً: هي مجموعة العوامل التي تعيق عمل المرأة في القطاع غير الرسمي وتشكل عقبات أمامهما.

الدراسات السابقة:

1- دراسة الجوراني، نبال، سنة 2017 عمل المرأة في القطاع غير الرسمي (أوضاع، أسباب وآثار عمل المرأة في القطاع غير الرسمي) (مدينة وريف اللاذقية نموذجاً) جامعة تشرين

تهدف دراسة "عمل المرأة في القطاع غير الرسمي" إلى التعرف على أوضاع ومشاكل النساء العاملات في القطاع غير الرسمي وكذلك أسباب عملهن في هذا القطاع، كما وتهدف إلى التعرف على تطلعاتهن المستقبلية وذلك لتحسين أوضاعهن. ولتحقيق هذا الغرض من الدراسة تم إجراء مقابلة مع سيدات عاملات في القطاع غير الرسمي اللواتي

[6] (جبارة، 2008، ص15)

تتراوح أعمارهن بين 23- 50 سنة ويعملن في مجالي الإنتاج والخدمات. تكونت عينة الدراسة من (20) سيدة من مستويات تعليمية مختلفة يعشن في مدينة وريف اللاذقية. إذ طلب من حالات الدراسة الإجابة عن أسئلة تتعلق بأوضاع عملها آخذة بعين الاعتبار الضغوطات التي تعاني منها العاملة في مجال عملها .بينت نتائج الدراسة أن النساء (حالات الدراسة) تسهم في تحسين مستوى معيشتهن من خلال عملهن في القطاع غير الرسمي بالإضافة إلى أن قسم منهن يعاني من مشاكل وصعوبات في العمل. ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة أيضاً دور القطاع الآنف الذكر في تحقيق مستوى من الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي للمرأة العاملة .توصلت الدراسة من خلال النتائج إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تسهم في تحسين أوضاع العاملات في القطاع غير الرسمي .

2- دراسة زريقة، يسرى، وجحجاح، غزوان سنة 2017 بعنوان " الدوافع الاجتماعية والاقتصادية لخروج المرأة إلى العمل ونتائجها. جامعة تشرين

أهداف الدراسة: تم اختيار هذا الموضوع للتعرف على الدوافع الاجتماعية والاقتصادية لخروج المرأة إلى العمل خارج المنزل وخصوصاً المرأة السورية، وما يفرزه من نتائج على المرأة ذاتها وآثاره على أبنائها وأسرتها.

منهجية الدراسة:

تم الاعتماد على المنهج التحليلي الإحصائي ومنهج دراسة الحالة فيما يتعلق بدراسة الدوافع الاجتماعية والاقتصادية لخروج المرأة إلى العمل في المجتمع السوري.

نتائج الدراسة:

1- الدوافع والأسباب الاجتماعية:

أ- ارتفاع مستوى التعليم كأحد الدوافع لخروج المرأة للعمل.

ب- المكانة الاجتماعية كأحد دوافع خروج المرأة إلى العمل

ت-الطلاق أو الوفاة كأحد الدوافع المؤدية إلى خروج المرأة إلى العمل

ث-ارتفاع حجم الأسرة كأحد الدوافع المؤدية إلى خروج المرأة إلى العمل الخارجي

ج- العنوسة والسعي لتحسين فرص الزواج كأحد الدوافع لخروج المرأة إلى العمل

2- الدوافع والأسباب الاقتصادية:

أ- تحسين الدخل ومستوى المعيشة

ب-عدم وجود معيل للأسرة

ت-الاستقلال الاقتصادي للمرأة

3- **دراسة الباحثان Gaufrau.B- Maldonado.C** اللذان تناولا في هذه الدراسة دور المرأة في القطاع غير الرسمي في العديد من الدول الإفريقية، وقد توصلا إلى أن المرأة تشكل عنصر فعال، كما أنها تنشط بكثرة في القطاع التجاري وبالأخص في تجارة التجزئة، واستخلصنا أن القطاع غير الرسمي يغلب عليه الجنس النسوي في معظم الدول الإفريقية، فمثلاً في الكونغو تعمل النساء في القطاع غير الرسمي بنسبة 53% وفي دولة ديفوار بنسبة 63% .

4- دراسة زدادرة، ابتسام سنة 2019-2020 بعنوان "مشكلات المرأة العاملة" رسالة لنيل درجة الماجستير جامعة8 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع.

أهداف الدراسة:

التعرف على الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها المرأة العاملة.

الآثار السلبية والإيجابية التي تعود على المرأة نتيجة خروجها للعمل.

الوقوف على أهم المعوقات أو المشكلات التي تؤثر على أداء المرأة العاملة.

التعرف على المشكلات الأسرية والاجتماعية والمهنية التي تواجه المرأة العاملة.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت أداة الاستمارة

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

4- المرأة العاملة أحيانا تعاني من الإرهاق الجسدي والنفسي الناجم عن الجمع بين العمل المنزلي والعمل خارج المنزل.
5- العمل أحياناً يأخذ كامل جهد المرأة العاملة على حساب واجبات المنزل.
6- المرأة العاملة لا تشعر بأنها مقصرة في واجباتها اتجاه زوجها.
7- المرأة العاملة استطاعت إثبات نفسها في مجتمع يرفض عمل المرأة.
8- المرأة العاملة تتعرض للمضايقات من الجنس الآخر في مكان العمل.

5- دراسة الملاحي، وضحى سلمان سنة "2021" بعنوان " عمل المرأة السعودية في المشاريع المنزلية الصغيرة" في مدينة الرياض، مجلة الخدمة الاجتماعية مج67 العدد1، من 189- ص209

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى معرفة الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية لعينة الدراسة، وكذلك التعرف على الأسباب التي تقف وراء اتخاذ القرار للعمل في المشاريع المنزلية الصغيرة، وتحديد أهم الصعوبات التي تواجهها المرأة العاملة في المشاريع المنزلية الصغيرة

منهجية الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة أسلوب المسح الاجتماعي بطريقة العينة، أما أداة الدراسة فقد اعتمدت على الاستبانة في جمع البيانات.

نتائج الدراسة:

1- غالبية من الأفراد لعينة الدراسة واجتهن صعوبات في عملهن في المشروعات المنزلية الصغيرة بنسبة 79.8 في حين أن هناك 20.2 لم تواجههن أية صعوبات.
2- إن النظرة الإيجابية إلى عمل المرأة بالمشاريع المنزلية الصغيرة هي السائدة بنسبة 58 %
3- تشير النتائج إلى أن هناك موافقة بين أفراد عينة الدراسة على أن العمل في المشاريع المنزلية الصغيرة يساهم في تكوين شخصية مستقلة للمرأة العاملة.
4- تمارس المرأة العاملة في المنزل قدراً أكبر من الحرية دون غيرها من السيدات العاملات خارج المنزل بنسبة 75.8.

تعقيب على الدراسات السابقة:

عُرضتْ مجموعة من الدراسات التي تناولت غير مرة مواضيع ذات أهمية وصلة ببحثنا الحالي، كتلك التي تناولت موضوع عمل المرأة والتحديات والصعوبات التي تواجهها، كذلك عمل المرأة في القطاع الغير رسمي،

فكانت قواعد نظرية مهمة من أجل فهم حيثيات البحث ورؤيته بصورة أوضح، ووجود بعض الدراسات التي استخدمت منهج دراسة الحالة التي تم استخدامه في بحثنا الحالي، فكانت مرجع جيد للاستفادة من طريقة استخدام هذا المنهج، كما توصلت تلك الدراسات إلى مجموعة مهمة من النتائج التي سيتم مقارنتها مع نتائج هذا البحث. لكن تبين قلة عدد الباحثين الاجتماعيين وخاصة في المجتمع المحلي الذين تناولوا الصعوبات والتحديات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي.

الإطار النظري:

الفصل الأول: عمل المرأة

أولاً- بدايات ظهور الحاجة الفعلية لمشاركة المرأة في التنمية

تعددت الأسباب التي أدت إلى ضرورة مشاركة المرأة في العمل خارج بيتها، منذ القدم ومن هذه الأسباب:

1- اكتشاف أمريكا والحاجة إلى عمل العبيد والأحرار:

الواقع يقول: إن الحاجة لعمل النساء بدأت ببداية اكتشاف أوربا للعالم الجديد "قارة أمريكا"، حيث أصبحت الحاجة لعمال من الذكور والإناث لاستغلالهم في العمل الزراعي والصناعي شديدة ولازمة، وقد بدأت باستقدام العبيد وسرقة الانسان من افريقيا، وانتهت باستغلال المرأة والأطفال أيضاً، وقد ساهمت الثورة الصناعية بعد اكتشاف الفحم والحديد وقوة البخار بنصيب وافر في فتح سوق العمل على مصراعيه أمام الذكور والاناث.[7]

2- الثورة الصناعية:

بدأت الثورة الصناعية تاريخياً من سنة (1760)م، وكان موطنها الغرب لا الشرق، حيث تم اكتشاف المعادن الهامة من حديد ونحاس وغيره، كما تم اكتشاف مصادر جديدة للطاقة منها الفحم وقوة البخار الذي أنتج المحركات العملاقة، وبدأ العالم يسير بخطى واسعة وثابتة وراسخة وقوية نحو الصناعات الحديثة، فنزح الكثير من العمال من القرى والأرياف إلى المدن، طمعاً في فرص عمل جيدة تخلصاً من براثن

[7] (أبو غضة، 2007، ص193)

الإقطاع الزراعي الذي أورثهم العبودية للأغنياء، وورثهم الفقر والمرض والعوز، فتلقاه أصحاب الأعمال والأموال، واستغلوهم أسوأ استغلال وتحول الإقطاع من زراعي إلى صناعي. وحيث لم يحقق العمل الصناعي أحلام الرجال، اضطرت النساء للخروج للعمل ومساعدة الرجال، لتحقيق الحياة الشريفة.

3- فناء الرجال في الحروب:

خلفت الحرب العالمية الثانية المجاعات، والأوبئة بعد أن راح ضحيتها (17) مليون جندي، (187) مليون مدني، وذلك خلال خمسة أعوام ونصف.[8]

ونتج عن هذه الحرب ملايين النساء بلا عائل، فاضطرت المرأة للخروج من بيتها لإعالة نفسها وغيرها، والمساعدة الفعلية في إعادة إعمار ما خربته الحرب، فعملت في الحقول والمصانع وفي كافة الأعمال، فالحروب أعطت المرأة فرصة نادرة، لأن تملأ مكان الرجل أثناء الحرب.[9]

ثانياً-دوافع عمل المرأة في القطاع غير الرسمي:

شهد المجتمع السوري تغيرات اجتماعية واقتصادية انعكست بصورة واضحة على الأسرة، ولا سيما أنها نتاج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي تظهر وتتطور فيه، ولعل أهم تلك المتغيرات ازدياد عمل المرأة، سواءً في القطاع الرسمي أو غير الرسمي حيث تتداخل دوافع ومسببات عمل المرأة ومنها:

[8] (نواب الدين، 2021 ص41).
[9] (انظر، أبو غضة، 2007، ص193)

أ- دوافع اقتصادية:

إن السياسات والتطورات الاقتصادية في العقود الأخيرة تسببت في أن تتغير نسبة النفقات بالقياس إلى الدخل. فبعض الخبراء اعتبروا تفشّي الفقر بشكل واسع وسريع منذ بداية العام 1990 وإلى الآن ناجماً عن الآثار السلبية للسياسات الاقتصادية في تلك الحقبة ومنها سياسات التعديل البنيوي وسياسات السوق المتطرفة[10].

ارتفعت الأعباء المادية على الأسرة السورية في ظل الظروف الراهنة بشكل كبير وملحوظ، حيث أعباء المعيشة أصبحت كبيرة في كل مجالاتها وغلائها، والرغبة في تحقيق مستوى معيشي أفضل لأفراد الأسرة وقف وبشدة خلف عمل المرأة. حيث أثبتت الدراسات أن نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر قد تضاعف وخاصة بعد الظروف التي لحقت بالدولة السورية من ظروف الحرب وبعدها جائحة كورونا، والحصار الاقتصادي، والتي كان لها دور كبير في انخفاض قيمة الدخل أمام الارتفاع الكبير في الأسعار، وعدم قدرتهم على تلبية حاجاتهم الأساسية اليومية، مما دفعهم إلى البحث عن فرص عمل توفر لهم دخل مادي مقبول، ودفع الكثير منهم إلى الأنشطة غير الرسمية لتحسين المستوى المعيشي، وخاصة بين المعيلات الأساسيات للأسر.

والمرأة على اختلاف مستوياتها التعليمية بما فيها الحاصلات على شهادة جامعية لم تسلم من المعاناة من مشكلة البطالة، فوجدت نسبة كبيرة منهن البديل المؤقت في القطاع غير الرسمي وذلك في انتظار الحصول على فرصة عمل

[10] (فربيرز،1383ه.ش، ص136)

رسمي. وخاصة أن العمل في القطاع غير الرسمي لا يتطلب منهن رؤوس أموال كبيرة، أو شهادات جامعية عالية.

2- دوافع ذاتية:

يكون الدافع الذاتي بغرض تأكيد الذات والمكانة الاجتماعية وتحقيق المنفعة الشخصية، إذ غالباً ما تشكل الاستقلالية المادية في حد ذاتها عاملاً مدعماً لتأكيد الذات ولضمان مكانة اجتماعية محترمة، كما أن المشاركة الفعالة في الأسرة والمجتمع تشعر المرأة بالفعالية الإيجابية وبالوجود الإيجابي.

3- دوافع اجتماعية:

يعدّ عمل المرأة نوعاً من المشاركة في معترك الحياة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حيث أن قضاءها وقتاً في عملها بعيداً عن الأنشطة البيتية الروتينية الأخرى، يجعل منها عنصراً اجتماعياً فعالاً، وداعماً نفسياً قوياً.

وقد وجد الباحث سليم نعامة في بحثه سيكولوجيا المرأة العاملة، حيث تبين أن أهم دوافع خروج المرأة إلى ميدان العمل تكمن في تلبية حاجاتها النفسية والاجتماعية واشباع رغباتها كاحترام الذات والاستقلالية المادية، وضرورة حصولها على المكانة الاجتماعية من خلال العمل[11]

4- عدم وجود معيل للأسرة:

تجد المرأة نفسها في الكثير من الأحيان مضطرة للعمل، بسبب الأحوال المعيشية والأسرية الصعبة، مثل عدم وجود مصدر للدخل في الأسرة لسبب أو لآخر، كعدم

[11] (نعامة، 1984، ص58)

وجود معيل لها بسبب الطلاق أو وفاة الزوج أو بسبب مرض الزوج، ونتيجة لهذا السبب تصبح المرأة هي المعيل الوحيد للأسرة[12]

ثالثاً– المعوقات والمشاكل التي تواجه المرأة في القطاع غير الرسمي:

إن تغير واقع المرأة من البقاء في البيت لتربية الأطفال إلى دخول ميدان العمل ليس بالأمر السهل، وذلك لأن التطور الصناعي والتكنولوجي السريع الذي حدث في الوطن العربي بشكل عام، والمجتمع السوري بشكل خاص، كان أسرع من تطور إدراك المرأة العاملة لمفهوم العمل وكان عليها أن تخضع لنظام جديد، وبذلك تتعرض لكثير من المشكلات والتوفيق بين المنزل والعمل حيث كانت تقوم بأعمال المنزل دون الحاجة لأحد وعدم تحقيق ذلك يعرضها إلى المعاناة[13]، فواجهت المرأة العاملة العديد من العراقيل والصعوبات وخاصة تلك التي تعمل في القطاع غير الرسمي ويمكن إيجاز أهم تلك العراقيل والتحديات بالنقاط الآتية:

لقد أوضح المفكر والفيلسوف "جورج برناردشو" بعض الصعوبات التي تعترض طريق المرأة العاملة ذلك تحت عنوان " النساء في سوق العمل" فيها قال:

"كان وطأة النظام الرأسمالي أشد وأقسى على المرأة منها على الرجل في بعض النواحي، وذلك أنه لم يوجد صاحب العمل في أي صناعة من الصناعات، الذي يقبل تشغيل امرأة عنده، إذا ما وجد الرجل بنفس الأجرة، ولهذا لم تحقق النساء رغبتهن في العمل في المصانع–إذا كن يرغبن فيه، إلا إذا عرضن القيام بأجور أقل من أجور الرجال"[14]

[12] (حسون، 1993، ص55)
[13] (ألخالدي،، 2013، ص150-151)
[14] (أبو غضة، 2007، ص197)

كذلك يضيف "شو" حيث يقول: عن استغلال الأزواج للزوجات العاملات : "ففي اللحظة التي تتزوج فيها المرأة تصبح جميع ممتلكاتها ملكاً لزوجها بمقتضى القانون الانجليزي، وقد أدى هذا الوضع القاسي إلى إساءات بشعة، وأعمال استغلالية شنيعة لحقوق المرأة" [15]

كما عانت المرأة العاملة من التحديات الاجتماعية والثقافية، حيث تتمثل في ازدواجية الأدوار التي تقوم بها المرأة العربية، فالمرأة العربية –طبقاً للمعايير الحديثة– عليها أن تعمل خارج المنزل كما أنها –طبقاً للمعايير التقليدية– عليها أيضاً أن تعمل داخل المنزل، كذلك التقاليد والأعراف السائدة في الدول العربية حيث تضع هذه الدول الكثير من القيود على مساهمة المرأة بالعمل[16]

كما تعرضت المرأة العاملة على مر الزمان لمشكلة كبيرة في عملها وهي إبتزاز المرأة العاملة جنسياً حيث أن الاعتداء الجنسي والمضايقات والمعاكسات الجنسية على المرأة العاملة ليس وليد الساعة بل هو قديم قدم دخول المرأة إلى ميدان العمل[17]

وتقول لين فارلي إن تاريخ ابتزاز المرأة العاملة جنسياً قد بدأ منذ ظهور الرأسمالية ومنذ التحاقها بالعمل. . وكانت المرأة التي ترفض الاستجابة لرغبات رئيسها في العمل تطرد إلى قارعة الطريق، وكانت بعض النساء ترضى في كثير من الأحيان للبقاء على قيد الحياة.[18]

[15] (مرجع سابق ص197)
[16] (حسن، 2001ص 70-76).
[17] (البار، د. ت. ن ص101)
[18] (مرجع سابق ص103)

كذلك إن ما يميز العمل في الورشة غير الرسمية أنها غير محددة مسبقاً، كما هو عليه الحال في ساعات العمل الرسمية، فضلاً عن ذلك فهي تخضع لإرادة صاحب الورشة، ففي فترة زيادة الطلب على المنتوج تزيد مدة العمل، ويفسر قبول العاملات للعمل لمدة طويلة إلى وجود مصلحة اقتصادية تتمثل في وزيادة أجرها كلما زاد إنتاجها للوحدات الإنتاجية مما يسمح لها بشراء حاجاتها الضرورية[19]

كما أن القطاع غير الرسمي يحرم المرأة العاملة من التأمينات الاجتماعية، حيث تعدّ التأمينات الاجتماعية نظاماً اجتماعياً وضعته الدولة لتحقيق الأمن الاجتماعي في المجتمع وتهدف إلى ضمان حياة مستقرة لكل منتفع بها.[20]

[19] (خليفة، وهيشور 2022،ص12)
[20] (مرجع سابق ص12)

الفصل الثاني

أولاً_ التعريف بالقطاع غير الرسمي وماهيته:

إن التعريف الأول للقطاع غير الرسمي هو الذي قبله مكتب العمل الدولي (B.I.T)، ودعمته منظمة العمل الدولية حتى عام 1972، حيث تم صوغه استناداً إلى نتائج تحقيق أُنجز في كينيا، بالاعتماد على معايير حددها الخبير (K.Hart) عام 1971، يعدّ فيها كل نشاط ضمن القطاع غير الرسمي إذا توافرت فيه السمات التالية: الملكية العائلية للمؤسسة، سهولة دخول السوق، نشاطات على نطاق صغير، استعمال الموارد المحلية، التكنولوجيا ذات الكثافة العليا للعمل، أسواق ذات المنافسة غير المنظمة، التكوين المكتسب خارج النظام المدرسي. لكن في عام 1993، تبنى مكتب العمل الدولي ضمن إطار الندوة الدولية الخامسة عشر لإحصاء العمل تعريف جديد للقطاع غير الرسمي، مضيفاً إليها معايير جديدة أخرى، حيث يعرفه بوصفه: "مجمل النشاطات الصغيرة المستقلة، بواسطة عمال أجراء أو غير أجراء، والتي تمارس خاصة بمستوى تنظيمي وتكنولوجي ضعيف، ويكمن هدفها الرئيس في توفير مناصب شغل ودخول للذين يعملون بها وتمارس من دون الموافقة الرسمية للسلطات، وهي لا تخضع لمراقبة الآليات الإدارية والجبائية".[21]

لقد ميزت الندوة العالمية لإحصائي العمل في (GENEVE)، من 28 أكتوبر حتى 6نوفمبر لعام 1987، القطاع غير الرسمي: (كمجموعة نشاطات صغيرة مستقلة تعتمد على العمال المأجورين أو غير ذلك من أنواع العمل (أجر كافي أم لا)، مستخدمين بطريقة تكاد تخلو من أي تنظيم ومن أيَّ تقدم تكنولوجي)،

[21] (بو دلال، 2014، ص9)

حيث تُعطى الأولوية الأساسية لخلق مناصب جديدة، وللحصول على الربح، حيث تقوم الأنشطة في هذه القطاعات من دون موافقة رسمية من قبل الجهات المختصة، وتتهرب من الميكانيزمات الإدارية التي تضمن مراعاة التشريع الضريبي، الأجور الدنيا، وشروط العمل. كما أضافت الندوة الخامسة عشر لإحصائي العمل (1993) بأن هذا القطاع يشير إلى "مجموعة من الوحدات المنتجة للسلع والخدمات هدفها خلق مناصب الشَّغل والحصول على عائد، هذه الوحدات تمثِّل خصائص مؤسسات فردية تتميز بمستوى غير مهم من التنظيم وسلَّم مقيَّد للعمليات"، لكن القطاع غير الرسمي يضم مؤسسات تتميز ببعض المعايير فيما يتعلق بالحجم، انعدام المحاسبة والتسجيل لدى صندوق الضمان الاجتماعي وإدارة الضرائب، إذ إنّ هدف هذه النشاطات ليس مخالفة القانون فقط أو التخلص من الإجراءات الاجتماعية والضريبية.[22]

ماهية القطاع غير الرسمي:

إن القطاع الاقتصادي غير الرسمي يشمل عمَّال الرعاية، البائعين الجوالين، العتَّالين، إضافةً إلى العمَّال الموظفين غير المُسجَّلين في القطاع الرسمي، وهي ممارسة شائعة _بصورة خاصة_ في قطَّاعي التصنيع وأعمال البناء.

وعادةً ما تُستَبعَد الممارسات غير المشروعة، كتجارة الأسلحة أو المخدرات أو الأدوية المُزيفة، من معظم تحليلات الاقتصاد غير الرسمي. وتجدر الإشارة إلى أن العديد من العاملين في القطاع غير الرسمي يعملون لحسابهم الخاص، ومنهم مَنْ لديه موظفون، وهناك مَنْ هو موظف في شركات رسمية أو غير

[22] (عبد الحفيظ، 2010، ص28،27).

رسمية، لكن الصفة المشتركة بين هؤلاء جميعاً هو الافتقار لعقد عمل، لبيئة عمل منظمة رسمياً، وعدم الوصول إلى مؤسسات القطاع الرسمي الأساسية، كالنقابات بأنواعها، وإعانات البطالة، ومؤسسات التأمين الاجتماعي.[23]

لقد فرض القطاع غير الرسمي نفسه وأهميته كوجه آخر للتنظيم الإداري، إذ إنه يتشكل بحكم العلاقات الشخصية الناشئة بين أفراد نقابة واحدة، أو تخصص واحد، أو مهنة واحدة، أو عقيدة واحدة داخل القطاع، ويمثل أنماط سلوكهم بشكل كبير، وهنا تؤدي العلاقات الشخصية والصفات والجماعات والصلات بين الموظفين دوراً مهماً، كما أن له عدة نماذج. كما يتميز بالمرونة والعفوية رغم أنه يتسم بعدم الالتزام بلوائح رسمية مكتوبة، وله عدة فوائد، إذ أنه يقوي الصلات الفردية يسهم في إشباع الحاجات التي قد لا يوفرها القطاع الرسمي، كما يحقق الرضا الوظيفي، وبالتالي يحقق نِسَب أداء مرتفعة.[24]

يمثل القطاع غر الرسمي ظاهرة ذات انتشار عالمي واسع، فحسب منظمة العمل الدولية، يُمضي حوالي مليار عامل، أو 60% من سكان العالم العاملين ذوي ال 15 عاماً أو أكثر، جزءاً من وقتهم على الأقل في القطاع غير الرسمي، كما ينخفض حجم هذا القطاع ببطء كلما تطورت الاقتصادات، غير أنه لا يزال يمثل _في الوقت الراهن_ حوالي ثلث النشاط الاقتصادي في البلدان ذات الدخل المتوسط والمنخفض، و15% منه في الاقتصادات المتقدمة.[25]

[23] (غالين2018، ص2)
[24] (الوكواك، 2016، ص5،4.)
[25] (دليشا،، وميدينا، 2020، ص54)

ثانياً- الاتجاهات النظرية المفسرة لقيام القطاع غير الرسمي:

على الرغم من تعدد وتنوع المحاولات التي تناولت هذا القطاع، إلا أنها جاءت متفرقة وتنتمي لتخصصات عديدة وتعكس تعارض المواقف النظرية من الأنشطة الحضرية غير الرسمية، وكذلك تعارض التوجهات الأيديولوجية على الاتجاهات النظرية في هذا المجال، الأمر الذي يزيد من صعوبة تحديد تسمية معينة لهذه المحاولات، فضلاً عن صعوبة صياغة نظرية سوسيولوجية تتناول ظاهرة الأنشطة غير الرسمية،[26] ولكن يمكن أن نصنف الاتجاهات النظرية في مجال دراسة الأنشطة غير الرسمية إلى اتجاهين أساسيين: الاتجاه المحافظ وتمثله نظريات كلاسيكية وأخرى إصلاحية والاتجاه الراديكالي.

أ- **الاتجاه المحافظ:**

وتنطوي تحت هذا الاتجاه، المحاولات النظرية التي عملت على تفسير ظاهرة الأنشطة غير الرسمية كقطاع مساعد على بقاء واستمرار وتوازن النظام الاجتماعي والاقتصادي بالتركيز على متغير مهم هو العمال، جاعلة من هذا القطاع كواقع ناتج عن ظاهرة الثنائية الاجتماعية وفي كل المجالات.

المحاولات النظرية المبكرة (النظريات الكلاسيكية):

كانت المحاولات النظرية المبكرة (النظريات الكلاسيكية) محاولات لفهم الأنشطة الحضرية غير الرسمية، وقد اعتمدت في تفسيره الأول تقليدي- حديث، وربطه بمتغير النمو الحضري السريع، والذي اعتبروه ناتج عن ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة، فالتحضر السريع قد رتب عدة ظواهر اجتماعية كانتشار

[26] (سليمة، 2014-2015)

الأنشطة الهامشية للمهاجرين، والعمال الريفيين، البطالة، الفقر وهذا ما جعل بعض الباحثين يركز اهتمامه على العمالة الريفية، كما عدّ أصحاب هذا الاقتراب أن الأنشطة الحضرية غير الرسمية هي مظهراً مشوهاً لعملية التحضير، ومعوقاً لعملية التنمية الحضرية.[27]

المدخل النظري الثنائي (الإصلاحي):

حاول ممثلو هذا المدخل إعطاء بديل للمدخل الكلاسيكي، حيث يكون أكثر قوة في تفسير ظاهرة الأنشطة غير الرسمية، على الرغم من اتفاقهم الأيديولوجي مع أسلافهم الوظيفيين، فهم يشكلون بموقفهم النظري امتداداً للتفكير الثنائي مع تركيزهم على عمليات إصلاح جوانب محددة من البناء الإجتماعي وأهم إسهام قدمه أصحاب هذا المدخل في مجال التنظير حول الأنشطة الحضرية غير الرسمية هو استحداث ثنائية بديلة للثنائية الكلاسيكية تقليدي–حديث وهي "رسمي– غير رسمي" فنظروا إلى ما هو تقليدي علة أنه يشكل جزءاً من هوية الأمة وتراثها وأعطوه الدور القيادي للأنشطة الحضرية غير الرسمية كبديل للصناعات الرائدة، ولقد شاع استخدام هذا المدخل فيختلف المحاولات النظرية التي تنظر إلى المدينة على أنها نسق إجتماعي تتساند متغيراته وظيفياً، ويتكون من قطاعين يترابطان مع بعضهما بعضاً، ولكل منهما دينامياته الخاصة وأبعاده ومتغيراته، أحدهما يمارس نشاطه بطريقة غير رسمية وغير محمية وغير منتظمة والآخر يقوم بتأدية عمله بطريقة رسمية ومحمية ومنتظمة، وينظر أصحاب هذا المدخل إلى القطاع الحضري غير الرسمي على أنه

[27] (خليفة، وهيشور، 2022–ص81)

يشكل هو الآخر نسقاً اجتماعياً فرعياً يقوم بوظيفة أساسية في المجتمع، فهو أداة التغيير الاقتصادي والاجتماعي والحل الملائم لمشكلة البطالة في البلدان النامية. [28]

ب- الاتجاه الراديكالي (الماركسي):

إن أصحاب هذا الاتجاه يستندون في دراستهم إلى موضوع القطاع غير الرسمي أساساً على التنظير الماركسي، حول أساليب الإنتاج، والسيطرة، والتفاوت الاجتماعي في الدول النامية، وقد اعتبروا العلاقة التي تربط ما بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي على أنها علاقة استغلالية[29].

ثالثاً- القطاع غير الرسمي في سوريا:

لقد حظي هذا القطاع بالاهتمام في منتصف تسعينات القرن الماضي، وخاصة بين عامي (1995-1996)، وكان يشير _حسب المكتب المركزي للإحصاء_ إلى: "القطاع الذي تعود ملكيته لأفراد أو جهات خاصة سواء كان يمارس نشاطه ضمن منشأة أو خارجها لكنه لا يمسك دفاتر محاسبية نظامية"، وكان آخر مسح له قد تم عام (2002)، كما قدرت بعض الدراسات أن مساهمة هذا القطاع في النشاط الاقتصادي لعام (1987) قد بلغت (20%)، لكنها تضاعفت إلى (40%) عقب صدور المرسوم رقم /10/ لعام (1991)؛ وذلك نتيجةً للانفتاح الاقتصادي، إضافةً إلى أن هذا القطاع يضم بعضاً من العمال المنتمين للقطاع الرسمي؛ لتحسين مستويات دخولهم.

[28] (سليمة، 2014-2015، ص87)

[29] Guevorkain،1998،(p12)

ينتشر هذا القطاع في كل مكان في سوريا، ويرتبط _في المفهوم الشعبي_ بالشركات الصغيرة، وبالباعة المتجولين، لكنه في الحقيقة واسع الانتشار في سوريا، فعندما نفكر بالاقتصاد غير الرسمي، نحتاج للتفكير في سلاسل الإمداد، والملكية القانونية للأراضي والشركات، ومستويات سجلات الموظفين، وكذلك الفوائد الاجتماعية اللاحقة التي ترافقها. وفي العدد (61) لأيار/مايو عام (2010)، تقتبس مجلة "سوريا اليوم" عن (عامر حسني لطفي) _مدير هيئة تخطيط الدولة_ قوله: "تتفاوت التقديرات حول حجم هذا القطاع إلى حد كبير، ولكن الحقيقة العملية تظهر أنه جزء مهم من الاقتصاد الوطني غير المحسوب في الناتج الإجمالي المحلي أو خطط الحكومة". كما قدر البروفيسور (هيرناندو دو سوتو) في أيلول/سبتمبر لعام (2008) عند إطلاق البرنامج الوطني للقطاع غير الرسمي، بأن هذا القطاع يمثل نسبة (40%) من الاقتصاد السوري.

منهجية البحث:

تم الاعتماد في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام طريقة دراسة الحالة بالإضافة إلى المقابلة والملاحظة.

عينة البحث: تم تطبيق البحث على عينة من النساء العاملات في القطاع غير الرسمي في محافظة طرطوس حيث بلغ عدد أفراد العينة (30) امرأة، تم اخيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة.

النتائج والمناقشة:

أولاً- العوامل التي أدت إلى لجوء المرأة للعمل في القطاع غير الرسمي

تشير النتائج إلى أن أهم الأسباب التي دفعت بالنساء العاملات في القطاع غير الرسمي من أفراد عينة الدراسة كانت الحالة الاقتصادية التي تمر فيها الأسرة السورية هي التي دفعت المرأة إلى العمل، وخاصة في ظل عدم توفر الوظائف التابعة للقطاع الرسمي، مما جعل النساء تتجه إلى القطاع غير الرسمي بالرغم من تحصيلهم الدراسي الجامعي في كثير من الأحيان، وكذلك رغبة بعض النساء الشخصية في العمل سعياً منها لتأكيد ذاتها وتأمين مكانة اجتماعية معينة لها، كما أشارت النتائج إلى أن أحد دوافع عمل المرأة في القطاع غير الرسمي عدم حصول بعضهم على شهادات تؤهلهم للحصول على وظائف جيدة وذات دخل مقبول في القطاع الرسمي.

ثانياً- أهمالصعوبات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع غير الرسمي

1- الاجتماعية

كانت النتائج تشير إلى أن غياب الضمان الاجتماعي والتأمين الاجتماعي هو أكثر ما تعاني منه أغلبهنَّ، وكان هذا الأمر يشكل مصدر قلق كبيراً بالنسبة لمعظمهنَّ على المستقبل.

2- الاقتصادية:

أشارت النتائج إلى أن المردود المادي لا يتناسب مع ساعات العمل الطويلة مما خيب آمال الكثير من النساء العاملات في القطاع غير الرسمي، كما أن التضخم

المستمر للأسعار مقارنة مع الدخل كان يجبر معظمهنَّ للقبول بالعمل مقابل دخلا لا يتناسب معه بكل الأحوال.

كما أشارت النتائج إلى أن توقف الدخل في حال تعرض المرأة العاملة للمرض أو لظرف معين يمنعها من العمل لمدة معينة كان يشكل تحدياً كبيراً وهاجساً لدى أغلبهنَّ.

3- الأسرية:

أشارت نتائج الدراسة أن أغلب التحديات الأسرية كانت تواجه المرأة المتزوجة أكثر من العازبة لصعوبة التوفيق بين العمل كربة بيت والعمل في القطاع غير الرسمي الذي يتطلب ساعات عمل طويلة مما كان يسبب لها العديد من المشاكل في المنزل.

4- الشخصية أو الذاتية:

أشارت الدراسات إلى تعرض بعض من النساء العاملات غير المتزوجات لمضايقات عديدة من قبل صاحب العمل اضطرت لتغييره بسببها، كما عانت الكثير منهنَّ من الاستغلال الكبير لجهودهم والعلاقة الاستغلالية الواضحة من قبل صاحب العمل، أما النساء العاملات في القطاع غير الرسمي في منازلهم كالخياطة أو الحلاقة أو غيرها من الأعمال فكانت أقل تعرض لهذا النوع من التحديات والضغوطات ولكنهنَّ كانوا يعانين من ساعات عمل طويلة.

مقترحات البحث:

1- الاهتمام بالقيام بدراسات وبحوث تستهدف واقع عمل المرأة في القطاع غير الرسمي بشكل أكبر لفهم التحديات التي تواجه المرأة بشكل أوضح.

2- القيام بورشات عمل من قبل الأخصائيين تستهدف المرأة العاملة لتبصيرها بحقوقها، وتعزيز قدرتها على تطوير أعمالها الخاصة

3- إعادة النظر في الكثير من السياسات للحد من الفقر والبطالة، التي تسمح باستغلال جهد المرأة مقابل الأجور المنخفضة.

4- الاطلاع على سياسات الدول الناجحة في مجال القطاع غير الرسمي وإجراء البحوث الدقيقة عنها للاستفادة الكبيرة من تجاربها.

5- تقديم التسهيلات اللازمة لجميع الجمعيات والمنظمات التي تسعى لإكساب المرأة مهنة ما، كما تعمل هذه المنظمات على تمويل مجموعة من النساء تمويلاً بسيطاً للانطلاق بمشروع يدعم هؤلاء النساء بعيداً عن الاستغلال بجميع أنواعه.

المصادر والمراجع

1- أبو غضة، ذكي (2007). عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر.

2- أندراوس، عاطف وليم (2005) الاقتصاد الظلي. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

3- انظر الأسرج، حسين عبد المطلب (2010). انعكاسات القطاع غير الرسمي على الاقتصاد المصري. ماجستير الاقتصاد، دبلوم معهد التخطيط القومي.

4- أوزار شمسة (1996). المعاملة في تركيا_ أمية القطاع غير الرسمي_. المجلد 30، العدد10. مجلة الندوة منتدى البحوث الاقتصادية للدول العربية وإيران وتركيا.

5- البار، محمد (د. ت. ن). عمل المرأة في الميزان. موقع صيد الفوائد.

6- بو دلال، علي (2014). القطاع غير الرسمي في سوق العمل الجزائري: دراسة تحليلية تقييمية للفترة (2000-2010). ع (65). مجلة بحوث اقتصادية عربية.

7- جاجان جمعة ألخالدي (، 2013). الاحتراق النفسي لدى المرأة العاملة. عمان: دار جرير للنشر والتوزيع.

8- جبارة، عطية جبارة (2008). المشكلات الاجتماعية. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

9- حسن، محمد (2001). المرأة العربية العاملة التحديات والحلول، مجلة التربية. قطر: اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم.

10- خليفة، محمد، وهيشور، محمد، (2022). عمل المرأة في القطاع غير الرسمي. مج11.ع1. مجلة دراسات إنسانية وإجتماعية، من ص59 –ص80

11- ديليشا، كورين؛ وميدينا، لياندرو (2020). ما هو الاقتصاد غير الرسمي؟، مجلة التمويل والتنمية.

12-سليمة، بوخيط (2014-2015). القطاع غير الرسمي في المدينة الجزائرية بين النظرية والتطبيق، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر بانتة، الجزائر.

13- الشرقاوي، عبد الحكيم مصطفى (2006). التهرب الضريبي والاقتصاد الأسود. الاسكندرية: الدار الجامعية الجديدة للنشر.

14- صبحي، محمد رزيق إيهاب (2001). الإدارة: الأسس والوظائف، الجزء الثاني. القاهرة: دار الكتب العلمية.

15- عبد الحفيظ، عطار (2010) التشغيل غير الرسمي بين الدافع الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر، رسالة دكتوراه في قسم الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقا يد، تلمسان، الجزائر.

16- عبد الحفيظ، عطار (2010). لتشغيل غير الرسمي بين الدافع الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر، رسالة دكتوراه في قسم الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر: جامعة أبي بكر بلقا يد.

17- عبد الفتاح، كاميليا ابراهيم (1989). سيكولوجية المرأة. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

18- عماد الدين خليل، موفق سالم نوري (2004). مدخل إلى الثقافة الإسلامية. الموصل: دار الأثير للطباعة والنشر.

19- غالين، ماكس (2018) فهم الاقتصادات غير الرسمية في شمال أفريقيا: من القانون والنظام إلى العدالة الاجتماعية. تونس: مؤسسة فريدريش إيبرت للنشر.

20- غالين، ماكس (2018). فهم الاقتصادات غير الرسمية في شمال أفريقيا: من القانون والنظام إلى العدالة الاجتماعية، مؤسسة فريدريش إيبرت للنشر، تونس.

21- فريبرز رئيس دانا (1،1383هـ.ش). تحول فقر در ايران: مسائل اجتماعي ايران، تهران. نشر آكه، ج.

22- قوري، يحيى عبد الله (2018). تقدير حجم الاقتصاد الموازي في الجزائر باستعمال نموذج MIMIC للفترة (1970-2016). مجلة أبعاد اقتصادية. مج (1). ع (8)، جامعة بومرداس.

23- محمد، عاطف غيث (2005). قاموس علم الاجتماع. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

24- منظمة العمل الدولية، "Decent work and the informal economy".

25- منظمة العمل الدولية، ""Decent work and the informal economy"، ص126.

26- نبيل، مروة أحمد (2018) العائد الاقتصادي لتمكين المرأة الفقيرة العاملة في القطاع غير الرسمي بالدول النامية. المجلة العلمية لقطاع كليات التجارة. ع (19)، جامعة الأزهر.

27- نعامة، سليم (1984) سيكولوجيا المرأة العاملة، سوريا: مكتب الخدمات الطباعية.

28- نواب الدين، عبد الرب، عمل المرأة وموقف الإسلام منه. الرياض: دار الزهراء بالرياض.

29- الوكواك، ميلاد محمد علي (2016). التنظيم غير الرسمي ودوره في الرفع من الأداء الوظيفي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم الإدارة الإسلامية، الجامعة الإسلامية مالانج-إندونيسيا.

30- الوكواك، ميلاد محمد علي (2016). التنظيم غير الرسمي ودوره في الرفع من الأداء الوظيفي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم الإدارة الإسلامية، الجامعة الإسلامية مالانج-إندونيسيا.

31- Jan Breaman (1996)، a dualistic labor system، a critique of the informal sector concept، economic and political weekly.

32- Porters and Castells، The Information Economy: Studies in Advanced and Less Developed Countries، 1989، p.12.

متطلبات الزواج والسن المناسب له في ظل المنعكسات الاقتصادية للحرب على سورية دراسة ميدانية على عينة من سكان حي الرميلة في مدينة جبلة

[1]*أ. د. إيفا خرما [2]**أ. د. مدى شريقي [3]***ذكريا عباس

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى تأثير المنعكسات الاقتصادية التي أفرزتها الحرب على سورية في قدرة الشباب على الزواج، وتأثير الحرب _من وجهة نظر المبحوثين_ في تغيير السن عند الزواج الأول. كما هدفت الدراسة إلى معرفة على السن المناسب لزواج الشاب والفتاة، وأهم المتطلبات التي لا يمكن التخلي عنها لإتمام الزواج.

ومن أجل ذلك قام الباحث بتصميم دليل مقابلة يعكس طبيعة التساؤلات المنبثقة عن مشكلة الدراسة، وإجراء دراسة ميدانية شملت (30) مبحوثاً ومبحوثة من سكان حي الرميلة في مدينة جبلة، لاستطلاع آرائهم حول الظاهرة المدروسة.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان أبرزها:

_ أن الحرب أثرت بشكل مباشر في تأخير الزواج، ورفع متوسط السن عند الزواج الأول لدى الجنسين وإن كان ذلك أكثر وضوحاً لدى الذكور منه عند الإناث.

_ رفض معظم المبحوثين التخلي عن السكن الزوجي المستقل لإتمام الزواج، مع تأكيد النصف منهم أنه لا فرق سواء كان ملكاً أو إيجاراً.

_ تأكيد معظم المبحوثين على أهمية وجود دخل ثابت بغض النظر إن كان كافياً أو لا كون وجوده يمنح شعور الأمان والاستقرار للأسرة.

كلمات مفتاحية: سن الزواج، متطلبات الزواج، المنعكسات الاقتصادية، تأخر الزواج، الحرب على سورية.

*أستاذ مساعد – قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.
**أستاذ مساعد – قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.
*** طالب دكتوراه- قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

abstract

This study aimed to identify the extent of the economic repercussions that resulted from the war on Syria on the ability of young people to marry, and to identify the impact of war - from the respondents' point of view - on changing the age at first marriage. The study also aimed to identify the appropriate age for marriage for a young man and a girl, and the most important requirements that cannot be abandoned for the completion of marriage.

For this purpose, the researcher designed an interview guide that reflects the nature of the questions emanating from the study problem, and conducted a field study that included (30) male and female respondents from the residents of Al-Rumaila neighborhood in the city of Jableh, to explore their views on the studied phenomenon.

We came to a set of results, the most important of which are:

-The war directly affected delaying marriage and raising the average age at first marriage for both sexes, although this was more evident for males than for females.

-most of the respondents refused to give up the independent marital residence to complete the marriage, with half of them confirming that there is no difference whether it is property or rent.

- most of the respondents stressed the importance of having a stable income, regardless of whether it is sufficient or not, because its presence gives a sense of security and stability to the family.

Key words: marriage age, marriage requirements, economic repercussions, delayed marriage, the war on Syria.

المقدمة

يعد الزواج مؤسسة اجتماعية تقوم بشكلها الطبيعي على تفاهم مشترك بين رجل وامرأة بعد اتخاذ قرار الارتباط وتكوين أسرة، وفق عادات وقيم، وتصورات جمعية يقرها المجتمع، وتتحدد بموجبها الأدوار والمسؤوليات والوظائف البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية والتربوية والأخلاقية لأفرادها، بدءاً من إشباع الحاجات الجنسية بطرق يرضى عنها المجتمع، وانتهاءً بإنجاب الأطفال وتنشئتهم. من هنا اكتسب الزواج طابعاً قدسياً، وحظي بأهمية كبيرة في حياة الأفراد ذكوراً وإناثاً على مر العصور.

تعرض الزواج لتبدلات وتغيرات عبر مراحل التاريخ من حيث شكله ونظمه، ومضمون أهدافه ومتطلباته الاجتماعية والاقتصادية، وطرق اختيار الشريك. خاصةً مع الانتقال من المجتمعات التقليدية التي اتسمت معظمها بسيطرة الأفكار الدينية، إلى المجتمعات الحديثة التي اتسمت بالتطور التكنولوجي والصناعي، وشيوع أنماط الاتصال الجنسي بموازاة الزواج أو كبديل عنه. هذه التطورات المادية والتغيرات الاجتماعية والقيمية التي شهدها العالم باتت تنسحب على مجتمعنا السوري خاصةً بصدد الزواج الذي تعرض في سورية كغيرها من البلدان العربية لتغيرات عديدة في العقود الأخيرة من حيث متطلباته وعاداته وأغراضه وطرق اختيار الشريك، والسن المناسب له وإن كانت درجة هذا التغير وشدته تختلف بين المدن والأرياف تبعاً لاختلاف خصائصها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والسكانية.

لا شك أن واقع الزواج واتجاهات الشباب نحوه تأثرت بهذه التغيرات قبل الحرب كما يؤكد العديد من الباحثين والدارسين أمثال" جلال السناد" لكنَ التداعيات السلبية للحرب التي اندلعت على سورية منذ عام 2011 اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً وديموغرافياً فاقمت الأمور، وأدخلت مزيداً من التغيير بما يتعلق بالزواج والإقبال عليه خاصةً مع معاناة معظم السوريين بمن فيهم الشباب على اختلاف انتماءاتهم وأوضاعهم من هذه التداعيات.

1- مشكلة البحث وأسئلته

1-1 – مشكلة البحث

شكلت الحرب بما أحدثته من قتل، وعنف وتشريد، وتدمير البنى التحتية، وتهجير، وفقر؛ عامل إحباط عطل قدرة الشباب الإنتاجية وحدَ من إمكانية تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وجعل من فكرة الزواج وتكوين أسرة وإشباع جانب حيوي مرتبط بخصوصيتهم الجسدية وفقاً للعادات والتقاليد أمراً غير ممكن تحقيقه للكثير منهم؛ فنفقات الزواج وتكاليفه قبل الحرب لا تقارن بنفقاته وتكاليفه اليوم حيث ارتفعت تكلفة الزواج إلى حد كبير ما دفع البعض للتخلي عن بعض متطلبات الزواج لإتمامه، في حين ذهب البعض الآخر لتأخيره أو الإحجام عنه، خاصةً في ظل غلاء المعيشة وصعوبة تأمين السكن، وعدم تناسب مستوى الدخل مع تكاليف الزواج، واضطرار الشباب إلى العمل سنوات طويلة لتأمين متطلبات الزواج التي ارتفعت بشكل كبير في ظل الحرب.

1-2- أسئلة البحث

سنحاول في هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- هل كان للحرب تأثير مباشر في تغيير سن الزواج من وجهة نظر المبحوثين؟
2- ما هو السن المناسب لزواج كلٍ من الشاب والفتاة من وجهة نظر المبحوثين؟
3- ما هي المتطلبات التي تعد ضرورة ولا يمكن التخلي عنها لإتمام الزواج من وجهة نظر المبحوثين ؟

2- أهمية البحث

تتأتى أهمية البحث من كونه يسلط الضوء على المواقف القائمة اليوم في ما يخص الزواج الذي يعد الخطوة الأولى في طريق تكوين الأسرة، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي والنفسي والاقتصادي والعاطفي لكل من الشاب والفتاة المقبلين عليه، خاصةً إذا بني الزواج على أسس سليمة تساعد

في إنجاب أطفال، وتنشئتهم تنشئة اجتماعية صحيحة تسهم في العمل على تطوير المجتمع وتحقيق استقراره.

3- أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف تتجلى بـ:

1- تعرف مدى تأثير الحرب في تغيير سن الزواج من وجهة نظر المبحوثين.
2- الكشف عن السن المناسب لزواج كلٍ من الشاب والفتاة من وجهة نظر المبحوثين.
3- الكشف عن المتطلبات التي تعد ضرورة ولا يمكن التخلي عنها لإتمام الزواج من وجهة نظر المبحوثين.

4-المفاهيم والمصطلحات

أ. الحرب: هي المواجهة العسكرية تتم لفترة طويلة أو قصيرة عبر استخدام قوات مسلحة بين طرفين أو أكثر بغية تحقيق أهداف ومكاسب معينة؛ وتسفر عن ضحايا بشرية ومادية وطبيعية. (سبيلا؛ الهرموزي، 2017، 197)

ب. الزواج: "مؤسسة اجتماعية مهمة لها نصوصها وأحكامها وقوانينها التي تختلف من حضارة إلى أخرى، ويبرز وجودها المجتمع، وتستمر فترة طويلة من الزمن يستطيع خلالها البالغان إنجاب الأطفال، وتربيتهم تربية اجتماعية ،أخلاقية ودينية يقرها المجتمع ويعترف بوجودها وأهميتها". (ميتشيل، 1981، 138)

ج. سن الزواج: يحدد قانون الأحوال الشخصية في سورية سن الثامنة عشرة لزواج كل من الشاب والفتاة، كما أجاز القانون زواجهما في عمر السادسة عشر سنة إذا تحقق الرضا والاختيار وفق تعليمات يصدرها قاضي القضاة.(قانون الأحوال الشخصية السوري، 2019)

د. متطلبات الزواج (إجرائياً): هي جملة من الحاجات والمراسم اللازمة لإتمام الزواج، وتتمثل الحاجات بوجود السكن والدخل وأثاث المنزل، في حين ترتبط المراسم بإقامة حفل الزفاف، وشراء جهاز العروس والمصاغ الذهبي والمهر وفستان الزفاف، وغيرها من هذه الأمور.

هـ. المنعكسات الاقتصادية (إجرائيا): هي جملة التغيرات والتحولات الاقتصادية التي شهدتها سورية منذ اندلاع الحرب في عام 2011 والتي تركت آثاراً مختلفة في قدرة أفراد المجتمع على الزواج وتكوين أسرة. كغلاء المعيشة، ضعف الأجور، تضخم العملة، ضعف قدرتها الشرائية، ارتفاع ثمن البيوت وتجهيزات الزواج، ارتفاع أجور السكن.

5-الدراسات السابقة

حظي موضوع الزواج باهتمام الباحثين والدارسين على اختلاف اختصاصاتهم العلمية فكتبت العديد من الدراسات العلمية الجادة على المستوى المحلي والعربي والأجنبي التي تناولت الموضوع من نواحٍ مختلفة، وقد اخترنا تقديم بعض هذه الدراسات بما يتوافق مع موضوع البحث الحالي.

1- تأخر سن الزواج لدى الشباب الجامعي (دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق)، السناد، 2007.

هدف الباحث في دراسته الكشف عن أسباب تأخر سن الزواج كما تراها عينة من طلبة كليتي التربية والهندسة المدنية في جامعة دمشق بلغ عددها(400) طالبة وطالباً. كما هدف إلى معرفة الفروق الفردية بين أفراد العينة تبعاً لمتغيرات البحث: الجنس، السنة الدراسية، الكلية. من خلال الإجابة على التساؤل الرئيس الآتي: ما أسباب تأخر سن الزواج كما تراها عينة من طلبة جامعة دمشق في كليتي التربية والهندسة المدنية؟

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج كان أهمها أن أفراد العينة يعطون الأهمية الكبرى لمشكلة السكن وغلاء الإيجار، يلي ذلك أنهم يرون أن الزواج قسمة ونصيب، وارتفاع تكاليف

المعيشة والحياة، وفقدان الوالدين والاضطرار لتحمل مسؤولية الأسرة، وعدم رغبة الزوجة السكن مع أهل الزوج، غلاء المهور، مواصلة التحصيل العلمي، مستوى الدخل المنخفض للزوج.

2- زواج القاصرات في الأسرة الريفية المهجرة، سرور، 2016.

تناولت الباحثة تزايد ظاهرة تزويج القاصرات في ظل الأزمة السورية في أوساط الأسر الريفية المهجرة. وانطلقت في دراستها من عدة تساؤلات أهمها ما أسباب زواج القاصرات في ظل الأزمة السورية؟ وهل كان التهجير سبباً رئيسياً في تزويج القاصرات؟ وما رأي الفتاة القاصر بزواج القاصرات؟

هدفت الباحثة من دراستها الوقوف على أسباب ظاهرة زواج القاصرات في الأسرة الريفية المهجرة. التعرف على الخصائص المرتبطة بالتعليم، والعمل، والمستوى الاقتصادي للأسرة التي تنتمي لها القاصر. التعرف على الظروف التي أفرزتها الأزمة السورية والتي أدت بدورها إلى تزايد زواج القاصرات. استخدمت الباحثة في تحقيق أهدافها المنهج الأثنوغرافي.

بلغ عدد أفراد العينة (57) سيدة تزوجن بعمر القاصر أي تحت الـ18 عام، ولم يمض على زواجهن أكثر من (4) سنوات. وتنتمين لأسرة ريفية مهجرة، وتعيش حالياً في مدينة دمشق. استخدمت الباحثة في جمع البيانات دليل البيانات المعمقة، وتم تحليل هذه البيانات باستخدام برنامج الاحصاء الـ (spss). توصلت الباحثة إلى العديد من النتائج كان أهمها: أن الأزمة السورية كانت عاملاً مؤثراً في تزويج القاصرات، فبسبب الأزمة تدنى المستوى الاقتصادي للأسرة الريفية المهجرة، مما أدى إلى اتخاذ قرار بتزويج الفتيات الموجودات ضمن الأسر، رغبةً من الأسرة بتخفيف الأعباء الاقتصادية، وتأمين حياة أفضل للفتاة في ظل هذه الظروف الاستثنائية التي يعيشها المجتمع السوري.

تعاني الفتيات القاصرات من أعباء في دورهن الأسري نظراً إلى عدم قدرتهن على القيام بمسؤوليات الزواج بسبب عدم تأهيلهن الأسري لهذا الدور الاجتماعي، مما انعكس بدوره على مدى رضاهن عن تجربة زواجهن.

3_ أسباب عزوف الشباب عن الزواج، لبرش، 2017.

تناولت الباحثة أسباب عزوف الشباب المثقف عن الزواج في الجزائر مركزةً على الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كالبطالة، أزمة السكن، غلاء المهور، وتغير نظرة الشباب للحياة الزوجية.

هدفت الباحثة إلى التعرف على أسباب عزوف الشباب عن الزواج ، سواء كانت أسباب هذا العزوف اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية، وكذلك معرفة إن كان السبب فرضته الظروف أم هو اختياري.

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، وتمّ اختيار العينة بالطريقة القصدية والعرضية، وقد كانت العينة صغيرة مقارنة بحجم مجتمع البحث حيث تكونت من (50) مفردة من أصل (3242) موظف (إداري وأستاذ). كما استخدمت الباحثة أداة المقابلة والملاحظة.

توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج أهمها: ظهور متطلبات جديدة للزواج لم تكن سابقاً كقيمة المهر وأزمة السكن التي تبقى العائق الأكبر أمام الشباب المقبل على الزواج، ويدفع به إلى العزوف عنه.

كما توصلت الباحثة إلى ظهور قيم جديدة نتيجة التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري، وأدى إلى طرق جديدة للتعارف. وهذا يؤكد أن هناك ظاهرة مخيفة تهدد استقرار المجتمع، وهي العزوف عن الزواج لدى الفئة المثقفة. والعزوف عن الزواج لم يعد إجبارياً فقط إنما أصبح أيضاً اختيارياً.

الدراسات الأجنبية:

1_ PREM C. SAXENA, ANDRZEJ KULCZYCKI and ROZZET JURDI, Nuptiality Transition and Marriage Squeeze in Lebanon Consequences of Sixteen Years of Civil War, 2004.

- بريم ساكسينا، أندريه كولكزيكي، روزيت جردي، ضغط الزواج في لبنان تداعيات 16 عاماً من الحرب الأهلية، 2004.

للدراسة العديد من الأهداف أهمها:

1- التعرف على نسبة العزاب. 2- تقدير متوسط العمر عند الزواج والفوارق في متوسط العمر عند الزواج الأول.3- هدفت أيضاً الكشف عما إذا كان للحرب أي تأثير كبير في سن الزواج في لبنان.

تناولت الدراسة اتجاهات وأنماط الزواج في لبنان باستخدام بيانات مسح السكان والمساكن لعام 1996 الذي أجرته وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان. شملت العينة 64472 أسرة وكانت العينة عنقودية طبقية واسعة النطاق.

قارنت الدراسة بين نسب الزواج في أربع فترات زمنية محددة لتحليل الزيجات فيها هي قبل الـ / 1959/، 1958 -1974/، /1975-1989 /، 1990- 1997/. وذلك للتحقق عما إذا كان للحرب الأهلية أي تأثير على سوق الزواج في لبنان.

أكدت الدراسة أن الحرب الأهلية خلقت اضطرابات كبيرة في سياق الزواج، ومع ذلك لم يتم تقديم أي بيانات عن اتجاهات وأنماط الزواج خلال العقود الأخيرة. وضغط الزواج عند الإناث أكبر منه عند الذكور وذلك لعجز الذكور المؤهلين للزواج. ومن المتوقع حدوث تغييرات في عادات الزواج بمعنى قد تتغير الفروق العمرية والتعليمية بين الزوجين. وهجرة الشباب الذكور شكلت ضغطاً أكبر على الإناث اللواتي اضطررن إلى تأخير الزواج.

بالرغم من أن سعي الإناث إلى مستويات تعليمية أعلى يؤدي إلى تأخرهن في السن عند الزواج الأول، فلا يوجد خطر من الوقوع في العزوبة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

بعد استعراض الدراسات السابقة يلاحظ أن الدراسة الأجنبية التي وقعنا عليها كانت أكثر تناولاً لتأثير الحرب في واقع الزواج، فدراسة **أندريه كولكزيكي، بريم ساكسينا، روزين جردي** "ضغط الزواج في لبنان تداعيات 16 عاماً من الحرب الأهلية" تتفق مع دراستنا الحالية بأكثر من نقطة لا سيما بتناولها لتأثير الحرب في تغيير السن عند الزواج الأول وبمعدلات الزواج. في حين لوحظ ندرة الدراسات العربية التي تناولت أوضاع الزواج في ضوء الحرب فبإستثناء دراسة الدكتورة "عبير محمد سرور" التي حملت عنوان "زواج القاصرات في الأسرة الريفية المهجرة " لم نقف على أية دراسة عربية تناولت تأثير الحرب في واقع الزواج سواء كان في سورية أو في البلدان العربية الأخرى.

6- الإطار النظري: المنعكسات الاقتصادية للحرب على الزواج في سورية

خلقت الحرب التي اندلعت على سورية منذ عام / 2011/ جملة من المشكلات الاقتصادية التي أثرت في قدرة السوريين على تأمين متطلبات الحياة المعيشية، وكان لهذه المشكلات تأثير مباشر في قدرة الشباب على الإقبال على الزواج وتأمين متطلباته، وسنتوقف هنا عند أبرز هذه المشكلات (كالفقر، أزمة السكن، البطالة والهجرة الخارجية).

6-1- الفقر

عرفت سورية قبل الحرب معدلات نمو اقتصادية جيدة بمعدل نمو وسطي يبلغ ما يقارب (4.45 %) خلال الفترة الواقعة بين العامين /2001 / و /2010 / (صندوق الأمم المتحدة للسكان مركز الاستجابة الإقليمية للأزمة السورية، 2016، 12)، الأمر الذي أدى إلى تحسن الأوضاع الاقتصادية المعيشية لمعظم السوريين آنذاك، حيث استطاعت الدولة توفير الخدمات

الأساسية بشكل مجاني أو شبه مجاني في مجالات الصحة والتعليم والطاقة ...الخ، ولم يعان السوريون في تلك الفترة من نقص بالمواد الغذائية والسلع الضرورية بفضل الدعم الذي كانت تقدمه الدولة لمواطنيها. وتشير الدراسات الاقتصادية إلى أن معدلات الفقر في سورية كانت الأدنى بين الدول العربية قياساً بمستوى الإنفاق الفردي في كل بلد ويظهر هذا أن معدلات الفقر في سورية أدنى مما هو متوقع بناء على مستوى دخل الفرد، وكمثال على ذلك تتمتع مصر بمستوى مشابه من حيث دخل إنفاق الفرد كما هو عليه الحال في سورية ولكن مع ذلك فإن معدل الفقر فيها يبلغ الضعف تقريباً (المركز السوري لبحوث الدراسات، 23) ومرد ذلك يعود إلى انخفاض أسعار السلع، والخدمات في سورية إلى درجة أن مواطني الدول المجاورة كلبنان والأردن ..الخ كانوا قبل الحرب يفضلون المجيء إلى سورية لشراء حاجياتهم من سلع ومواد غذائية وغيرها بسبب جودتها وانخفاض ثمنها قياساً بما هو في بلدانهم.

ومع اندلاع الحرب على سورية عام/ 2011/ ظهرت مجموعة من المشكلات الاقتصادية بفعل التخريب الممنهج للمنشآت، والمدن الصناعية، وتدمير البنية التحتية، وتراجع النمو الاقتصادي، وتوقف الاستثمارات وهروب رؤوس الأموال إلى الخارج، ونهب الثروات الطبيعية، وخروج كثير من حقول النفط والغاز عن العمل في مناطق القتال، وانخفاض الصادرات مقابل زيادة الواردات وضعف الاحتياطي النقدي من القطع الأجنبي، وضعف القدرة الشرائية لليرة السورية وارتفاع «معدلات التضخم إلى أرقام قياسية تبلغ (57.3%) في سورية مع انتهاء الربع الأول من عام 2013» (صندوق الأمم المتحدة للسكان مركز الاستجابة الإقليمية للأزمة السورية، 2016، 14) وفرض حزم متتالية من العقوبات الخارجية، وتقدر الخسائر التي تكبدها الاقتصاد السوري في عامي/ 2011/ و /2012/ " بـ (24.1) مليار دولار أمريكي والذي يشكل حسب الأسعار الثابتة لعام 2000 حوالي (81.7%) من الناتج المحلي الإجمالي لعام 2010 ، وتوزعت الخسائر الكلية إلى (50%) كخسارة في الناتج المحلي الإجمالي، (43%) خسارة مخزون رأس المال المتضرر (7%) خسارة ارتفاع الانفاق العسكري" (المركز السوري لبحوث السياسات، 43).

هذا الواقع الاقتصادي المأزوم الذي خلقته الحرب انعكست تداعياته السلبية على الحياة المعيشية للسوريين، ويتجلى ذلك في ارتفاع نسب الفقر وغلاء المعيشة وانخفاض مستوى الدخل ونقص فرص العمل وخسارة الوظائف، ففي عام / 2015 / على سبيل المثال شهد السوريون ارتفاعاً كبيراً في تكاليف المعيشة، والزيادة في أسعار السلع والخدمات الذي انعكس مزيداً من التدهور في معيشة الأسر، ولاسيما الأسر الأشد فقراً، حيث بات الكثير من السوريين عاجزين عن تلبية الحاجات الأساسية في الحياة اليومية أو غير قادرين على إشباعها بالحد الأدنى، « (30 %) من السكان تراجعوا إلى حالة من الفقر المدقع حيث تكافح الأسر لتلبية الاحتياجات الغذائية الأساسية للاستمرار في الحياة » (صندوق الأمم المتحدة للسكان مركز الاستجابة الإقليمية للأزمة السورية، 2016، ص14) وتؤكد الدراسات أن هذه النسب تزداد أكثر فأكثر مع استمرار الحرب "حيث بلغت نسبة السكان الذين يعيشون على أقل من(1.90) دولار في اليوم، حسب التقديرات، (40) في المائة من مجموع السكان في عام /2019/. ويمثل هذا ارتفاعاً حاداً في معدلات الفقر المدقع مقارنة بمستويات عام /2010/، التي لم تتجاوز تقديراتها واحداً في المائة. واستناداً إلى خط الفقر مقيساً بالعيش على (3.50) دولار، الذي هو أكثر اتساقاً مع قيمة ما قبل النزاع في الجمهورية العربية السورية، كان معدل الزيادة مقارنة بمستويات عام /2010 / أكثر من (400) في المائة، إذ بات قرابة (77) في المائة من السكان يعيشون تحت هذا الخط في عام /2019 / (سورية: بعد ثماني سنوات من الحرب، 38)

هذه الضغوط الاقتصادية والضائقات المادية تحدث «اضطرابات في أساليب المعيشة وطرق السلوك المألوفة، وخاصة حين يحدث اختلال التوازن بين متطلبات وحاجات الأسرة، وبين الموارد اللازمة لتحقيق هذه المطالب والحاجات» (بلميهوب، 2010، 91)، ولا شك أن التردي غير المسبوق للأوضاع الاقتصادية في حياة أفراد المجتمع السوري أثر بشكل مباشر في قدرة الشباب على إتمام الزواج، وفي السن الذي يستطيع الشاب والفتاة الزواج فيه للمرة الأولى في حياتهم، وفي القدرة على تكوين الأسرة وإنجاب الأطفال. خاصةً مع محدودية الدخل وضعف الأجور التي يتلقاها العاملون في مختلف مجالات العمل حيث لا يتجاوز أعلى راتب لموظف

حكومي الـ (200 ألف ليرة سورية) وحتى الذي يعمل في القطاع الخاص أو الأعمال الحرة ويصل دخله إلى ضعف هذا المبلغ أو ضعفيه أو ثلاثة أضعافه فإنه يكاد لا يكفي نفقات الزواج وتكاليفه، فعلى سبيل المثال إن سعر البراد أو الغسالة التي تعتبر من الحاجات الضرورية لأي منزل يحتاج لأكثر من مليون إلى مليوني ليرة سورية، وهذا ما يعادل دخل الموظف لحوالي العام. وحتى مع تخلي عدد كبير من الفتيات وأسرهن وتنازلهن عن بعض متطلبات الزواج التي كان من اليسير على الشباب تأمينها قبل الحرب كالمصاغ الذهبي وحفل الزفاف والمهر، وغيرها إلا أنه يبقى من الصعب على الكثير من المقبلين على الزواج تأمينها.

وعلى الرغم من عدم توفر بيانات إحصائية دقيقة حول نسبة العزوبية ومتوسط السن عند الزواج الأول لدى الشباب السوري، يمكن القول إن المشاهدات العامة تؤكد عزوف الكثير من الشباب وتخليهم عن فكرة الزواج خاصةً في شريحة المتعلمين الذين يبلغون من العمر الثلاثينيات والأربعينيات ولم يقدموا على خطوة الزواج بعد لعدم قدرتهم على تأمين متطلباته.

6-2- أزمة السكن

أصبحت أزمة السكن في سورية واضحة في فترة الحرب، ويعود ذلك إلى تعرض الكثير من الأبنية السكنية للدمار، وتوقف الكثير من المشاريع الإسكانية، وارتفاع أسعار المساكن بطريقة تفوق الخيال، وعلى حد تعبير بعض المحللين الاقتصاديين في برنامج المسائية على (شام إف إم) وفي برنامج مع الحدث على إذاعة دمشق، أن أسعار العقارات في سورية أصبحت من الأعلى في العالم إلى درجة أنه في بعض المناطق بالعاصمة دمشق باتت أسعار المساكن أعلى من مثيلاتها في باريس ولندن، وأن أقل مسكن تبلغ مساحته (60) متراً مربعاً يتجاوز سعره الـ (25) مليون ليرة ما يجعل إمكانية شراء المسكن حلماً صعب المنال لمعظم الشباب السوري، ولو حاول الشباب الادخار لسنوات عديدة فإن الأمر لم يعد ذا جدوى، خاصةً مع ارتفاع تكاليف المتر المربع للمسكن عشرات الأضعاف عن ذي قبل.

يعتبر توفير السكن من أهم المشكلات التي تعيق إمكانية الزواج، وخاصةً أن معظم الشباب باتوا يفضلون العيش في مسكن مستقل عن الأهل بعد الزواج، وذلك تفادياً للمشكلات العائلية من جهة، ومن جهة أخرى فإن صغر حجم السكن في المدن يفرض على الأبناء العيش مستقلين عن الأهل. وقد لا يستطيعون شراء السكن المناسب فيلجؤون إلى خيار الإيجار، وتبدأ رحلة التنقل والترحال من منزل إلى آخر، أي تغيير السكن أو البقاء في المسكن ذاته شريطة الموافقة على رفع قيمة الإيجار الذي يبدأ صاحب العقار المطالبة به مع اقتراب انتهاء المدة المتفق عليها في العقد، والأمر يزداد سوءاً خاصة في المناطق والمدن التي وفد إليها المهجرون والنازحون من المناطق الساخنة خلال الحرب. ما جعل أصحاب البيوت يرفعون سقف الأجور بطريقة لا تتناسب مع مستويات الدخل لدى الناس، وعلى وجه التحديد الموظفين الذين يدفعون أكثر من نصف راتبهم لاستئجار مسكن ليتآووا فيه، في حين يذهب البعض الآخر من الشباب للبناء العشوائي خاصةً في أطراف المدن والأرياف فيقومون ببناء مسكن صغير لا يتجاوز غرفة أو غرفتين في أحسن الأحوال لأنه يتعذر على الشاب في الظروف الراهنة إنجاز متطلبات الأسرة، وأهمها المسكن الملائم إلا بعد ما يقضي فترة طويلة في العمل من أجل توفير هذا المطلب.

6_3_ البطالة

تعتبر البطالة مشكلة اقتصادية اجتماعية تعكس وضعاً سلبياً للاقتصاد، وتعبر عن عجزه عن استيعاب «كل قادر على العمل وراغب فيه وباحث عنه ويقبله عند مستوى الأجر الأدنى السائد ولا يجده» (عجلان، 2008، 41) وهذا مرده إلى تقلص سوق العمل وضعف النمو الاقتصادي وتوقف الاستثمارات، ما يؤثر سلباً في إمكانية استحداث فرص عمل جديدة في مختلف القطاعات الصناعية والزراعية والسياحية.

وبالرغم من أن نسبة البطالة حافظت على معدل ثابت في سورية «والذي يقع دون المعدل الوسطي للمنطقة العربية على مستوى مستقر يبلغ ما يقارب (8%) خلال الفترة الواقعة بين

/2003 / و /2010/ كما بيَن تقرير التحديات التنموية في الدول العربية /2011/ (UNDP)، غير أن البطالة المستقرة ترافقت بانخفاض في معدلات المشاركة في قوة العمل وبضعف في معدلات خلق فرص عمل جديدة. (...) حيث لم يخلق الاقتصاد السوري سوى (400 ألف) فرصة عمل خلال العقد السابق للحرب بمعدل نمو سنوي يبلغ (0.9%) مما أدى إلى تراجع معدل التشغيل من (47%) في عام /2001/ إلى (39%) في العام / 2010/» (المركز السوري لبحوث السياسات، 2013، 21)، هذا الأمر زاد عدد المتعطلين عن العمل، وفاقم مشكلة البطالة، لا سيما مع دخول أعداد أكبر من خريجي الجامعات إلى سوق العمل سنوياً. ويلاحظ ارتفاع نسبة المتعطلين عن العمل بين الحائزين على شهادات التعليم الجامعي عن غيرهم من شرائح الشباب الأخرى.

إن ارتفاع معدل البطالة وانتشارها في أوساط الشباب الذين لا يجدون فرص عمل ثابتة يؤثر إذاَ سلباً على الأوضاع الاجتماعية للمتعطلين ومن حولهم، في ظل غلاء المعيشة وارتفاع أسعار السلع بشكل كبير، وتدهور القدرة الشرائية بشكل يولد لدى الشباب حالة من الإحباط لعجزهم عن بلوغ هدفهم في تحقيق الكفاية المادية، ويضعف إيمانهم بدور المؤسسات الرسمية والأنظمة والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع بسبب شعورهم بالحرمان من أشياء كثيرة، وعجزهم بالتالي عن إشباع حاجاتهم الأساسية وإن كانت غير ملحة أو مستعجلة في الوقت الراهن خاصة مع عدم قدرتهم تأمين نفقات الزواج، وتكوين أسرة وشراء مسكن، وغير ذلك من متطلبات الزواج.

وإن كان كلاً من الشاب والفتاة يبقى أسير المتطلبات المادية للزواج، ولكن تبقى النظرة التقليدية تحمل الشاب مسؤولية القيام بالأعباء الاقتصادية ما قبل الزواج وما بعده لتكوين الأسرة وإنجاب الأطفال، ما اضطر الكثير من الشباب لإيجاد أكثر من عمل دون أن يتناسب بالضرورة مع المؤهل العلمي والثقافي لهم، فالعبء الأكبر يقع على كاهلهم، في حين أن الفتاة وإن كانت متعلمة قد تكتفي برعاية شؤون المنزل، ورعاية الأولاد لعدم توفر فرصة عمل مناسبة لدورها الأمومي الذي يطلب منها بذل جهد أكبر بالالتفات لشؤون البيت، وإن كان لديها رغبة بالعمل لمساعدة الزوج في تحمل الأعباء المالية للأسرة التي دفعت معظم الشباب للتفكير بالارتباط بفتاة

موظفة تعينه على الإنفاق لأنه حتى الدخل المتواضع الذي يتقاضاه العاملون من الشباب لا يمكنهم من تحمل متطلبات الزواج وما بعده، وهذا ما يدفع الكثير منهم إلى الإحجام عن الزواج أو اللجوء إلى الزواج العرفي على وجه التحديد في البيئات ذات الطابع الديني كحل وسيط يجنبهم الانزلاق بعلاقات جنسية غير مشروعة أو الارتباط بزواج دائم يحملهم أعباء ومسؤوليات غير قادرين على الالتزام بها. خاصةً وأن بعض الأسر لم تتفهم التغيرات الاقتصادية وما رافقها من تغيرات اجتماعية. فهي لا تزال تطلب ممن يتقدم للزواج من بناتها بمطالب يعجز في كثير من الأحيان عن تلبيتها. والغريب في الأمر أن هذه الأسر قد يكون لديها أبناء ذكور في سن الزواج ويجدون صعوبة في تأمين متطلبات الزواج وتأخذ على غيرها من الأسر مبالغتها في المطالب إلا أنها تقع في هذه الازدواجية، لاسيما مع تدهور القوة الشرائية للعملة وغلاء المعيشة المتمثل بالارتفاع الكبير لأسعار السلع الضرورية ما جعل الزواج من كماليات الحياة لدى شريحة واسعة من الشباب السوري، خاصةً مع تدهور الوضع الاقتصادي لمعظم السوريين منذ اندلاع الحرب عام /2011/ في سورية، وازدياد نسبة الفقر والبطالة لمن هم في سن قوة العمل، حيث "ارتفعت معدلات البطالة من (14.9%) عام /2011 / إلى (57.7%) عام /2014/» (صندوق الأمم المتحدة للسكان مركز الاستجابة الإقليمية للأزمة السورية ، 2016، 13) وما زاد الأمر سوءاً في فترة الحرب تعرض الكثير من المنشآت والمعامل للسرقة والنهب والتدمير الأمر الذي أفقد الكثيرين عملهم، وأجبرهم على النزوح من مدنهم إلى مدن أخرى أو الهجرة إلى خارج البلاد بحثاً عن الأمن والأمان لتحقيق مستقبل أفضل لهم ولأسرهم.

6_4_ الهجرة الخارجية

أدت الحرب بما شهدته من عنف وأعمال قتالية دوراً محورياً في زيادة عدد المهاجرين السوريين من مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية والعمرية، وخاصةً الفئة الشابة منها حيث اندفع مئات الآلاف منهم بفعل الخوف والقلق والأوضاع الأمنية غير المستقرة إلى خارج البلاد لتأمين مستقبلهم وللبحث عن ظروف حياة أفضل اقتصادياً وأمنياً واجتماعياً وسواء تعلقت الأسباب الكامنة وراء هجرة الشباب بالهروب من الخدمة العسكرية، وتصوير الخروج من البلد على أنه

الخلاص من جهة، أو لتحقيق طموح شخصي يرتبط بالوصول إلى تقدير الذات والحصول على بعض الامتيازات، وحريات البحث والتفكير والوصول إلى نمط عيش أكثر رفاهية، فقد شكلت هجرة هؤلاء خسارة كبيرة في رأس المال الاجتماعي أو الاقتصادي سيترتب عليها مستقبلاً أضراراً يصعب تعويضها على الصعيد الإنتاجي خاصةً أن معظم المهاجرين من الشباب يقعون في سن قوة العمل، ويتمتعون بخصائص تعليمية ومهارات إبداعية مميزة وكفاءات علمية «وتشير الدراسات إلى أن نسبة السوريين المهاجرين الحاصلين على شهادة التعليم الجامعي العالي تتجاوز (35%) من إجمالي المهاجرين التي تحتاجهم سورية في مرحلة ما بعد الحرب. وهؤلاء ثروة وطنية فتية، إلى جانب كونهم كوادر وكفاءات وموارد بشرية وعلمية، يصعب على النظام التعليمي تعويض وتأهيل كوادر مماثلة في مدة قصيرة» (أبو حلاوة، 2018، 7). ناهيك عن الآثار الديموغرافية والاجتماعية الناجمة عن التفاوت بين أعداد المهاجرين من الذكور والإناث وما لذلك من تأثير مباشر في الحالة الزواجية من حيث معدل الزواجية، ومتوسط السن عند الزواج الأول حيث أن هجرة الشباب الذكور شكلت ضغطاً أكبر على الإناث اللواتي اضطرين إلى تأخير الزواج، وما تعانيه الفتيات في هذا الصدد ينسحب على الشباب؛ وإن بصورة مغايرة، فاضطرار الشباب إلى الهجرة خارج القطر بشكل دائم أو مؤقت للأسباب المذكورة أعلاه يدفع الكثير منهم إلى «الإحجام أو الانصراف عن الزواج كفكرة أو مشروع أو كدور اجتماعي وقد يكون العزوف استجابة إرادية لعوامل داخلية في شخصية الفرد أو استجابة قسرية لضغوط خارجية» (خليل، 2009، 9) وبعد تخطي الظروف والضغوط واستقرار أوضاعه يمكن أن يتزوج بفتاة من البلد الذي يقيم به أو يقوم بالبحث عن فتاة من خلال أهله المقيمين داخل البلد الأم أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وعندما يجد الفتاة المناسبة يوكل الأهل أو أحد الأقرباء أو الأصدقاء للقيام بإجراءات الزواج وأخذ العروس إلى البلد المقيم به، وهذا يفسر ازدياد الحديث عن ارتفاع عدد عقود الزواج التي تتم بالوكالة في الآونة الأخيرة سورية.

بعد استعراضنا لبعض المشكلات الاقتصادية التي سببتها الحرب يمكن القول أن الظروف الاقتصادية التي يعيشها مجتمعنا السوري في فترة الحرب المتمثلة بغلاء المعيشة، وارتفاع أسعار السلع، وانخفاض الدخل وضعف الأجور وانتشار البطالة، وغلاء المساكن، والهجرة الخارجية حدَ

من قدرة الكثير من الشباب على تأمين متطلبات الزواج، ما جعل تأخير الزواج خياراً إجبارياً إلا في حالات يتم فيها التخلي عن كثير من هذه المطالب، أو أن يكون للمحيطين كالأسرة مثلاً إسهاماً في توفير هذه المتطلبات.

7- إجراءات الدراسة الميدانية

تتضمن هذه الفقرة عرض الإجراءات التي اتبعناها في تطبيق دراستنا الميدانية، بدءاً بتحديد منهج الدراسة وانتهاءً بتحديد أسلوب العينة.

7-1- منهج الدراسة

اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب للحصول على المعلومات الكافية لفهم الظاهرة والعناصر المشكلة لها ودراسة التغير الذي طرأ عليها خلال الحرب.

7-2- طريقة الدراسة

اعتمدنا طريقة تحليل المضمون لتحليل البيانات الواردة في المقابلات حول موضوع الدراسة.

7-3- أداة الدراسة

اعتمدنا المقابلة المعمقة أداة لجمع البيانات، وهي الأداة الأكثر استخداماً في الأبحاث ذات التوجه الكيفي كونها تمكن الباحث من الحصول على معلومات متنوعة وأكثر تعمقاً حول الظاهرة المدروسة.

الصدق الظاهري لأداة الدراسة (صدق المحتوى):

تم اختبار صدق المحتوى لدليل المقابلة بالاستعانة بمجموعة من الأساتذة من أعضاء الهيئة التدريسية والمتخصصين في مجال علم الاجتماع، لأخذ آرائهم والإفادة من مخزونهم

المعرفي وخبراتهم المتراكمة في مجال اختصاصاتهم والاستفادة من ملاحظاتهم في تعديل الدليل بما يتلاءم وأهداف البحث، ووفقاً لذلك أُخرج الدليل بصورته النهائية الحالية في ضوء الملاحظات التي أبدوها، ومدى ملاءمتها لأهداف البحث.

7-4- مجتمع البحث وعينته

حدد الباحث مجتمع البحث سكان حي الرميلة في مدينة جبلة. ويتصف الحي المذكور الواقع شمال مدينة جبلة بتنوع شرائحه الاجتماعية، واختلاف أوضاعهم الاقتصادية وتباين مستوياتهم الثقافية والتعليمية.

كما تم تحديد حجم العينة بـ (30) مبحوثة ومبحوث من قاطني هذا الحي. ويعود السبب في تحديد هذا الحجم من العينة إلى اعتمادنا على المقابلة المعمقة كوسيلة لجمع البيانات. وأثناء إجراء المقابلات توضح لنا أن العدد كافٍ بالفعل، والسبب في ذلك هو الوصول إلى نقطة التشبع بالمعلومات ، بمعنى أن المبحوثين في المقابلات الـ5 الأخيرة لم يضيفوا جديداً على من سبقهم، ومن ناحية ثانية إن حجم العينة الصغير كان متناسب مع طبيعة دراستنا الاستطلاعية بغرض التركيز والتعمق في تحليل البيانات، وتوصيف الظاهرة المدروسة، وتوضيح معالمها للخروج بنتائج تؤسس لفرضيات تبنى عليها دراسات لاحقة من قبل الباحث أو باحثين آخرين.

7-5- أسلوب اختيار العينة

اعتمدنا في اختيارنا للعينة على أسلوب العينة المتاحة (الميسرة) التي يتم بها الالتقاء بأفراد العينة مصادفةً، وتعتبر من العينات المناسبة للدراسات الاستطلاعية، حيث «يختار الباحث عدداً من الأفراد الذين يقابلهم صدفةً دون تخطيط مسبق» (دياب، 2003، 99)، ويوافقون على المشاركة وإعطاء البيانات، ويستخدم هذا النوع من العينات عند جمع بيانات استكشافية حول موضوعات معينة كموضوع دراستنا الحالي.

8_نتائج الدراسة

8-1 نتائج الإجابة عن السؤال الأول حول تأثير الحرب على سورية في تغير السن عند الزواج الأول

تبين بعد تحليل أجوبة المبحوثين حول سؤال تأثير الحرب في تغير سن الزواج أن (70%) منهم رأوا بأن الحرب أدت إلى تأخير سن الزواج، في حين أن (13.4%) منهم قالوا بأن التأخير كان فقط عند الشباب، وذهب (10%) للقول بأن الحرب لم تؤثر في تغيير سن الزواج. و(6.6%) وجدوا أن الحرب أسهمت في التبكير بالزواج.

مناقشة نتائج السؤال الأول

_رأى (70%) من المبحوثين أن الحرب أثرت في تأخير سن الزواج؛ وبحسب آرائهم تتدرج الأسباب الرئيسة وراء هذا التأخير تحت محورين أساسيين يتعلق الأول بالظروف الاقتصادية التي أحدثتها الحرب، في حين يرتبط الثاني بالتغيرات الاجتماعية والأمنية.

أ_ الظروف الاقتصادية:

أجمع معظم المبحوثين على القول إن الظروف الاقتصادية السيئة التي أحدثتها الحرب أثرت بشكل مباشر في قدرة معظم الشباب على الزواج، وهذا ما دفع الكثير منهم قسراً على تأخير الزواج إلى سن يتجاوز في معظم الأحيان الـ35 سنة وربما الأربعين أحياناً بالنسبة للشباب، والـ ثلاثين عند الفتيات. فانخفاض مستوى الدخل، وتراجع القوة الشرائية لليرة السورية، وارتفاع أسعار السلع وغلاء المعيشة، إضافةً إلى انتشار البطالة وفقدان فرص العمل أدى إلى صعوبة تأمين متطلبات الزواج بسبب الأزمة المالية التي ألحقت بالشباب، وعلى حد تعبير أحد المبحوثين "الدخل الذي نتقاضاه بالكاد يكفي ثلاثة أو أربعة أيام، فكيف سيستطيع المقبل على الزواج تأمين منزل وتزويده بأثاث ولو كان متواضع؟ ولو كان لهذا الشخص القدرة على امتهان عمل إضافي هذا العمل لن يكون إلا وسيلة ليكمل حاجياته من مأكل ومشرب حتى نهاية

الشهر". فتأمين متطلبات الزواج من مسكن وملبس ومأكل ومشرب وأثاث منزلي والأدوات الكهربائية وغيرها من التفاصيل المرتبطة بحفل الزفاف كان توفيرها قبل الحرب بإمكان الجميع تقريباً خلافاً لما هو الوضع في الوقت الحالي، وهذا ما عبر عنه أحد المبحوثين عندما قال: " كان من يريد الزواج سابقاً قبل الحرب يقترض ليتمكن من تأمين تكاليف حفل الزفاف وحاجيات العروس وأثاث المنزل، وكان المبلغ الذي يحصل عليه كافياً وفي كثير من الأحيان يتبقى منه القليل، أما الآن فإن القرض لا يكفي ثمن غسالة أو براد". وبالرغم من الصعوبات الاقتصادية التي يعاني منها الشباب ممن هم في سن الزواج فقد ذكر العديد من المبحوثين أنه لا يزال هناك فتيات يرفضن هن وأهاليهن تقديم أي تنازلات تسهل إتمام الزواج، وقد ذكر أحد المبحوثين "لقد تقدمت لفتاة بطلب الزواج إلا أنها رفضت فكرة الارتباط بي لأنه ليس لدي القدرة على تأمين ما تطمح إليه كالحفل والفستان والمنزل الذي لا ينقصه شيء وقالت لي: إذا أردت الزواج مني ينبغي عليك تجهيز أمورك للفتاة التي ستكون مسؤول عنها". وحتى مع اتفاق الشاب والفتاة وتنازلها عن بعض متطلبات الزواج كحفل الزفاف والمصاغ الذهبي و...الخ فإنهم يضطرون لتأخيره عدة سنوات لتأمين أساسيات الحياة الزوجية، وقد عبرت إحدى المبحوثات عن ذلك بقولها: "لقد أحببت شخصاً بقيت على علاقة معه سنين طويلة وتنازلت عن حفل الزفاف والفستان والكثير من الأمور ومع ذلك لم نستطع الإقدام على مشروع الخطوبة إلا بعد ست سنوات من بداية علاقتنا، وذلك لنتمكن من تجهيز أمور منزل الزوجية ولو بإمكانيات متواضعة".

إذاً تبقى إمكانية الزواج بحسب آراء بعض المبحوثين مرتبطة بمدى قدرة الأسر على مساعدة أبنائها في تأمين السكن ودون ذلك فقد أصبح الزواج حلم صعب المنال لمعظم من هم في سن الزواج.

ناهيك عن الظروف الاقتصادية المذكورة أعلاه فقد عزا المبحوثون تأخر سن الزواج إلى التغيرات الاجتماعية والأمنية التي سنوردها فيما يلي.

ب_ التغيرات الاجتماعية والأمنية:

ترتبط التغيرات الاجتماعية والأمنية التي أسهمت في تأخير سن الزواج بحسب المبحوثين بالهجرة والتهجير والتحاق كثير من الشباب بخدمة العلم. فقد أدى النزاع المسلح، وما أحدثه من عنف وقتل ودمار إلى اضطرار الكثير من الأسر إلى مغادرة أماكن سكنهم الأصلية، وخسارة أملاكهم وأرزاقهم للانتقال والعيش في مناطق أخرى أكثر أمناً الأمر الذي نتج عنه سوء أوضاعهم الاقتصادية، وحال دون قدرة الشباب منهم على الزواج، وهذا ما عبر عنه أحد المبحوثين عندما روى لنا قصة أحد جيرانه بقوله: "لقد استقر أحد الأشخاص هو وعائلته في منزل بالإيجار بالقرب منا بعد أن اضطر لترك كل ما يملك في مكان إقامته الأصلية، وبدأ بالتأسيس لحياته من جديد عوضاً عن السعي بزواج أبنائه كما أن أبناءه يحاولون تأمين لقمة العيش بدلاً من البحث عن استقرارهم وتكوين أسر كونهم في سن الزواج"

ناهيك عن ذلك لقد اضطر الكثير من الشباب إلى الهجرة لإيجاد فرصة عمل تدر عليهم دخل يساعدهم في تأمين مستقبل أفضل وبرأي أحد المبحوثين "كثيرون هم الشباب الذين هاجروا لتحسين أوضاعهم وأوضاع أسرهم، وليتمكنوا من الزواج، وكثر هن الفتيات اللواتي ينتظرن عودة هؤلاء الشباب"

كما ركز المبحوثون على دور تأدية الشباب للخدمة الإلزامية والاحتياطية في تأخير سن الزواج، حيث أكد معظم المبحوثون ممن رأوا أن الحرب أخرت سن الزواج أن التحاق الشباب بخدمة العلم الإجبارية والاحتياطية أثرت بشكل كبير في إمكانية الزواج خاصة مع قضاء الكثير منهم سنوات طويلة بلغت حد9 سنوات أو أكثر أضاعت عليهم إمكانية بناء مستقبلهم، وعلى حد تعبير أحد المبحوثين "أن الشاب قبل الحرب كان ينهي دراسته ويلتحق بخدمة العلم مدة عامين وبعد ذلك كان يسعى لتأمين مستقبله بعمر الـ27 ويتزوج. أما اليوم فإن الشاب يلتحق بالخدمة بعمر العشرين ولا ينهيها قبل الـ 30سنة، ويحتاج مدة خمس سنوات لترتيب أموره، وتأمين مستلزمات الزواج ولا يتزوج في هذه الحال قبل عمر الـ 35 وأحياناً أكثر.

_ كان لدينا (13.4%) من أفراد العينة وجدوا أن الحرب أدت إلى تأخير سن الزواج عند الشباب فقط، في حين أن الفتيات لم يتأثر سن الزواج لديهن ويعود السبب في ذلك أن تأمين متطلبات الزواج يقع بالدرجة الأولى على كاهل الشباب الذين لم يعودوا قادرين على تأمينها إلا بعد قضاء سنين طوال في العمل المتواصل، ويصبح الأمر أكثر سوءاً في أوساط الشباب الذين تركوا وظائفهم وآمالهم والتحقوا بالخدمة الالزامية أو الاحتياطية، وعلى حد تعبير أحد المبحوثين "إن تأمين مستلزمات الزواج وحاجاته تقع على عاتق الشاب وليس على الفتاة أية مسؤولية بهذا الخصوص، هذا الأمر يجعله إذا لم يتخلى عن فكرة الزواج نهائياً فإنه يؤخره سنين عديدة خاصةً إذا التحق بخدمة العلم بعد الدراسة الجامعية"

ودلل أصحاب هذا الرأي على صحة كلامهم بالقول: أن فرق العمر يزداد بشكل واضح في الآونة الأخيرة حيث يتجاوز هذا الفرق في بعض الأحيان الـ15 عام حيث يكون الشاب قد بلغ الـ40 عام أو أكثر في حين أن سن الفتاة يكاد لا يتجاوز الـ25 أو أقل. وعلى حد تعبير إحدى المبحوثات "لم تعد الفتاة تهتم لفرق العمر بينها بين الشاب لطالما كان وضعه المادي جيد وقادر على تلبية متطلباتها" وأضافت بما بمعناه أن تأمين المتطلبات ليس في متناول معظم الشباب بعمر الـ (25،30) لهذا السبب لا يكون لدى الفتاة مشكلة بفرق العمر بينها وبين الخاطب. كما أكد المبحوثون أن تناقص أعداد الشباب مقارنة بأعداد الفتيات لأسباب منها هجرة الشباب إلى الخارج، وموت الكثير منهم في الأعمال القتالية جعلت الكثير من الفتيات توافق على أول شاب يتقدم لخطبتها بغض النظر عن فارق العمر بينهما شريطة أن يكون قادر على تأمين متطلبات الحياة الكريمة لها وتقول إحدى المبحوثات: "لقد أصبحت البلاد خالية من الشباب، وتسعين بالمئة من الذين بقيوا غير قادرين على الزواج، ولهذا السبب فقد أصبح تقدم الشاب لخطبة الفتاة فرصة لا تعوض في مثل هذه الظروف، خاصةً إذا ما كانت الفتاة قد أنهت دراستها، (وأضافت المبحوثة) أنها تعرف العديد من الفتيات اللواتي تزوجن بعمر الـ 20 أو أقل مع ملاحظة أن فرق العمر بينهن وبين الشاب قد ازداد بالفترة الأخيرة وأن الشباب غالباً هم في عمر فوق الـ35 سنة".

_ في حين وجد (10%) أن الحرب لم تؤثر في تأخير سن الزواج لأنه حين يريد يتغلب على الظروف ويعمل دائماً على إيجاد البدائل، وتسخير الإمكانيات لتحقيق ما يرغب به.

_ (6.6%) قالوا أن الحرب أدت إلى التبكير في سن الزواج ولكن في المناطق الساخنة وذلك للتخلص من العبء الاقتصادي أو لحماية الفتاة أو من مبدأ أن الفتاة بالنهاية مرجوعها لبيت الزوجية.

نلاحظ من أجوبة المبحوثين على السؤال الأول تأكيد معظمهم أن الحرب خلقت واقعاً اقتصادياً واجتماعياً وأمنياً أثر بشكل سلبي على معظم أفراد المجتمع السوري، وحد من قدرة معظم من هم في سن الزواج عن تأمين متطلباته، ما دفع الكثير منهم إلى العزوف عنه أو تأخيره إلى سن متقدمة بشكل إجباري مكرهين على ذلك.

وكان من الواضح توافق أجوبة المبحوثين مع ما أوردناه في الإطار النظري للبحث من حيث تأثير البطالة وانخفاض مستوى الدخل وغلاء المعيشة وأزمة السكن وغيرها من المشكلات الاقتصادية في تأخير سن الزواج ، كما يلاحظ وجود توافق بين أجوبة المبحوثين، وبعض النتائج التي توصل لها الباحث "جلال السناد" في دراسته التي أجري في عام /2007/ " تأخر سن الزواج لدى الشباب الجامعي دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق" حيث خلص فيها إلى أن مشكلة السكن وغلاء أجورها وغلاء المعيشة، وانخفاض مستوى دخل الشباب من أكثر الأسباب تأثيراً في تأخر سن الزواج لدى الشباب السوري.

هذه النتائج التي توصل إليها الباحث في دراسته تشير ربما إلى أن التغير في سن الزواج ربما بدأت بوادره قبل الحرب بعدة سنوات، وتعزز انتشار هذه الظاهرة بشكل واضح بعد ما أفرزته الحرب من مشكلات اجتماعية واقتصادية.

8-2- نتائج تتعلق بالإجابة عن السؤال الثاني حول السن المناسب لزواج الشاب

_ رأى (40%) من المبحوثين أن العمر بين الـ (31_35) سنة هو الأنسب لزواج الشاب، و (26.7%) وجدوا أن السن المناسب للزواج هو (36_40) سنة، في حين رأى (16.7%) من أفراد العينة أن السن المناسب لزواج الشاب هو (26- 30) سنة. كما ذهب (10%) من المبحوثين إلى عدم تحديد سن لزواج الشاب. وكان لدينا(6.6 %) من المبحوثين أن السن المناسب لزواج الشاب (21 _25) سنة،

مناقشة النتائج

_ بغض النظر عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والأمنية التي أفرزتها الحرب، وتأثيرها في الحد من إمكانية الزواج عند معظم الشباب السوري تباينت آراء المبحوثين حول السن المناسب لزواج الشاب حيث رأى (40 %) منهم أن العمر بين الـ (31_35) سنة هو الأنسب لزواج الشاب، وانطلقوا بأجوبتهم من اعتبارات عديدة تتمثل بأن الشاب يكون قد أنهى دراسته، وأدى خدمة العلم ودخل مجال الحياة العملية واستطاع خلال هذه السنوات تأمين كل متطلبات الزواج أو جزء منها على الأقل. كما أن الشاب في هذا العمر يكون قد خاض تجارب عاطفية واجتماعية، وامتلك مستوى كافي من الوعي يجعله قادر على اختيار الشريك المناسب له وفق أسس عقلانية بعيداً عن ضغط الحاجة الجنسية التي بحسب تعبير البعض منهم تكون الرغبة بإشباعها هي السبب الرئيس في زواج الشباب قبل سن الـ 30عام. كما أكد المبحوثون أن الشاب في هذا العمر يكون لديه رغبة في الوصول إلى الاستقرار الاجتماعي الذي يعتبر فيه الزواج، وتكوين أسرة منطلق هذا الاستقرار ونواته، وقد عبر أحد المبحوثون عن هذا بقوله: "الشاب بهذا العمر رغبته تكون محصورة بالاستقرار بعد تجارب عديدة خاضها وعرف ما يناسبه منها". كما أكد المبحوثون أن الشاب في هذه المرحلة يكون قد خطا بمرحلة الرجولة، وأصبح لديه صورة واضحة عن طبيعة المرحلة المقبل عليها بما فيها من مسؤوليات، والتزامات داخل مؤسسة الزواج وخارجها.

ذهب (26.7%) للقول أن السن المناسب للزواج هو (36_40) سنة، وعلى حد تعبير المبحوثين يكون الشاب قد وصل إلى مرحلة النضج الحقيقي الذي يمكنه بحسب آرائهم من اختيار شريك الحياة وفق معايير تختلف عن ذي قبل، فغالباً ما يكون الاختيار قبل هذا العمر مبني على المظهر الخارجي في حين أنه بهذه المرحلة يصبح اختياره قائم على مدى التوافق النفسي والفكري، ومدى قدرتها على التعامل مع ظروف الحياة وإدارة شؤون المنزل وتربية الأطفال، وقد عبر أحد المبحوثين عن ذلك عندما قال: "الشاب يبحث ليس فقط عن زوجة إنما عن أم لأطفاله المستقبليين" . ولم يغفل المبحوثون دور العامل الاقتصادي في وصول الشاب إلى نوع من الاستقرار الذي يدفعه إلى البحث عن شريكة حياته بحرية أكبر من كونه يكون في هذا العمر قد تمكن من تأمين منزل الزوجية، وأصبح قادراً على تلبية متطلبات الزواج. وقد عبر أحد المبحوثين عن الفكرة قائلاً: "عندما يكون الشاب ذو وضع ميسور اقتصادياً د تكون خياراته أوسع لاختيار زوجة المستقبل".

_ في حين رأى (16.7%) من أفراد العينة أن السن المناسب لزواج الشاب هو (26– 30) سنة معللين سبب رأيهم هذا بأن الشاب بهذا العمر، يكون لديه من النشاط ما يكفيه لتحمل أعباء الزواج إضافةً إلا أنه العمر الأجمل للاستمتاع مع من يحب بتفاصيل الحياة الكثيرة، كما أنه ينجب باكراً ويكون لديه القدرة على تربية أولاده ويكون لديه دائماً الطاقة لاستيعابهم ومجاراتهم في مراحل عمرهم المختلفة خاصةً وأنهم سيكبرون معاً.

_ ذهب (10%) من المبحوثين إلى عدم تحديد سن لزواج الشاب معتبرين أن الزواج مرتبط بتوفر مجموعة من الشروط التي إذا ما توفرت فإنه يمكن للشاب أن يتزوج، ويأتي في مقدمة هذه الشروط النضج الفكري والاستقرار الاقتصادي.

رأى (6.6 %) من المبحوثين أن السن المناسب لزواج الشاب في حال كان هناك وفرة مادية متمثلة بالميراث أو مساعدة الأهل من (21 _25) سنة، ومن وجهة نظرهم أن زواج الشاب بهذا العمر يشبع لديه الحاجة الجنسية بطريقة شرعية تجنبه التفكير بعلاقات غير مشروعة.

يلاحظ من أجوبة المبحوثين عن السؤال السابق أن أكثر من ثلثيهم أكد أن السن المناسب لزواج الشاب يبدأ بعد الثلاثين وقد يعبر ذلك عن تأثرهم بظروف الحرب التي رفعت بالواقع سن الزواج عند معظم الشباب.

صحيح أن المشاهدات العامة تؤكد وجود تغير وتأخر في سن الزواج لدى الشباب السوري، ولكن لم نقع على أي مسوح ديموغرافية أو اجتماعية تشير بشكل واضح إلى متوسط السن عند الزواج الأول بعد الحرب، ومقارنته بما كان عليه الحال قبل الحرب.

7_3_نتائج تتعلق حول الإجابة عن السؤال الثالث حول السن المناسب لزواج الفتاة

رأى (50%) من المبحوثين أن السن المناسب لزواج الفتاة يتراوح بين الـ (26_ 30) سنة، ووجد (33.4%) من المبحوثين أن السن المناسب لزواج الفتاة بين (21_25) سنة، في حين رأى (10%) أنه لا يوجد سن مناسب دون غيره لزواج الفتاة، وكان لدينا (6.6%) من المبحوثين ممن قال: أن السن المناسب لزواج الفتاة هو أقل من 20 سنة.

مناقشة النتائج

رأى (50%) من المبحوثين أن السن المناسب لزواج الفتاة يتراوح بين الـ (26_ 30) سنة معللين ذلك بأن الفتاة بهذا العمر تكون قد وصلت للنضج الفكري والوعي الكافي اللذين يمكناها من الاختيار الصحيح لشريك الحياة الزوجية، وقد عبرت إحدى المبحوثات عن ذلك بقولها: "يكتمل نضج الفتاة بهذا العمر، وتتضح شخصيتها وتصبح مدركة لما تريده ممن سيكون زوج المستقبل، وتكون خياراتها في الغالب منطقية غير مبنية على العاطفة فقط". كما أكد من قال أن هذه المرحلة هي الأنسب لزواج الفتاة: أن الفتاة تكون قد أنهت تعليمها الجامعي في حال كانت تتابع تعليمها، كما تكون قد خاضت تجارب اجتماعية وعاطفية، وقد تكون دخلت سوق العمل. وقد عبر أحد المبحوثين عن هذا بقوله: "تكون الفتاة بهذا العمر قد عاشت حياتها بكل تفاصيلها، وتكون قد اكتسبت خبرات من خلال احتكاكها بالناس وهذا الشيء يساعدها أن تكون زوجة ناجحة". وبرأي المبحوثين تكون الفتاة أصبحت أكثر قدرة على تحمل أعباء الزواج، وإدارة المنزل

وتربية الأبناء، والتوفيق بين دورها كزوجة وأم داخل المنزل، ودورها خارج المنزل كامرأة عاملة في حال كانت تعمل.

وجد (33.4%) من المبحوثين أن السن المناسب لزواج الفتاة بين (21_25) سنة، وقد تقاطعت آراؤهم مع أصحاب الرأي السابق بعدة نقاط كالقول بأن: الفتاة تكون قد أنهت تعليمها، وأصبحت قادرة على تربية الأولاد مع إضافة بعض المبحوثين لفكرة أنه في هذا العمر يكون للفتاة طاقة أكبر لتربية الأولاد من كونه السن المناسب للإنجاب من الناحية البيولوجية لأن قدرتها الجسدية على الحمل، والإنجاب تكون أفضل من أي عمر آخر.

في حين رأى (10%) أنه لا يوجد سن مناسب دون غيره لزواج الفتاة فالأمر مرتبط بظروف الفتاة نفسها، وبمدى نضجها، وعلى حد تعبير المبحوثين من الممكن أن تكون الفتاة قد بلغت الثلاثين أو أكثر دون أن يعني ذلك أنها مهيأة لتحمل أعباء الزواج ومسؤولياته، في حين قد تكون فتاة أخرى بعمر الـ20 سنة، و مهيأة للزواج أكثر من مثيلاتها بالعمر أو ممن يكبرنها سناً.

وكان لدينا (6.6%) من المبحوثين ممن قال: أن السن المناسب لزواج الفتاة هو أقل من 20 سنة، فمن وجهة نظرهم زواج الفتاة هو خيار حتمي لها، ومهما بلغت الفتاة من المستوى التعليمي فلا بد لها أن تتزوج والأفضل لها أن تتزوج باكراً، وتكتسب مهارات إدارة شؤون المنزل وتربية الأولاد والطهي ...الخ، خاصةً إذا لم تكمل تعليمها. وقد عبر أحد المبحوثين عن ذلك بقوله: "في نهاية المطاف مرجوع الفتاة لمنزل الزوجية، ومهما تعلمت ومهما كان عمرها فإن ما يهم الزوج أن تقوم زوجته بأعباء المنزل على أكمل وجه".

يلاحظ مما تقدم تأكيد أكثر من نصف المبحوثين أن السن المناسب لزواج الفتاة دون الـ 25 سنة، في حين أن ثلثهم رأوا أن السن المناسب لزواجها دون الـ 30 سنة مع تقاطع أجوبتهم حول أسباب اختيار هذا العمر، وما يمكن قوله هنا أنه أثناء تحليلنا للمقابلات لاحظنا أن جميع المبحوثين وضعوا (7_10) أعوام كفرق عمر بين الشاب والفتاة. وهذا يدلل ربما أن الحرب قد

كان لها دور فعلي بما أحدثته من ظروف على كافة الأصعدة في زيادة فرق العمر بين الشاب والفتاة عند الزواج.

ما سبق يتوافق مع ما توصل إليه **أندريه كولكزيكي، بريم ساكسينا، روزين جردي** في دراستهم حول فكرة أن الحرب ستزيد من فرق العمر بين الشاب والفتاة وذلك مرتبط بزيادة هجرة الشباب وزيادة الضغوط الاقتصادية عليهم والتي تحول دون إمكانية تأمين مستلزمات الزواج، وإن كان هذا بحسب الدراسة ذاتها لا يهدد بخطر ارتفاع نسبة عزوبة الفتيات.

8-4- نتائج الإجابة عن السؤال الرابع حول المتطلبات التي لا يمكن التخلي عنها لإتمام الزواج

رأى (90 %) من المبحوثين أنه لا يمكن التخلي عن السكن المستقل. وذهب (80 %) إلى عدم التخلي عن وجود دخل ثابت، و(76.7%) لم يكونوا مع التخلي عن ارتداء العروس للفستان. ووجد (36.7%) من المبحوثين عدم التخلي عن إقامة حفل الزفاف.

مناقشة النتائج

حين كان الحديث عن المتطلبات المرتبطة بالزواج، وإتمامه كالسكن والدخل الثابت وحفل الزفاف وفستان العرس وجلسة التصوير والمصاغ الذهبي جاءت الأجوبة على النحو الآتي:

أ _ السكن:

_ عبروا عن ضرورة أن يكون السكن مستقل بغض النظر إن كان ملك أو أجار. معللين ذلك بأن استقلالية السكن الزوجي أحد أهم أركان نجاح الزواج، وتكوين أسرة مستقرة فعلى حد تعبيرهم أن الشاب والفتاة ببداية حياتهم الزوجية خاصةً هما بحاجة العيش منفردين ليصلا إلى درجة من التفاهم والانسجام وقد عبر أحد المبحوثين عن ذلك بقوله: "مهما امتدت فترة الخطوبة فالزوجين بحاجة العيش لوحدهما ليتمكنا من التعرف على بعضهما وليفهم كل منهما الآخر" وبهذه الطريقة يدرك كل من الزوجين ما له من حقوق وما عليه من واجبات.

كما ذكر المبحوثون أن السكن مع الأهل يحد من حرية الزوجين وخاصةً الزوجة ويخلق من المشكلات ما يعيق تحقيق الاستقرار والسعادة الزوجية. وقد عبر أحد المبحوثين عن الفكرة بقوله: "العيش مع أهل الزوج خطأ كبير آثاره سلبية على خصوصية الزوجين حيث يحجز حرية الزوجة الشخصية من ناحية لباسها وضيوفها بالمنزل ، عدا عن المشكلات بين الزوجة ووالدة زوجها ما يجعل الزوج يقع بين نارين".

ذهب المبحوثون إلى حد القول أن الزواج والسكن مع الأهل يؤثر في تربية الأبناء بسبب التدخلات في تربيتهم من قبل جميع أفراد الأسرة الذي يسكنون مع الزوجين. وبرأي إحدى المبحوثات أن "العيش مع أهل الزوج يجعل من تربية الأبناء مهمة صعبة بين أخذٍ وردٍ من كون أن الزوجين لديهما طريقة في تربية أبنائهما تكون مغايرة لطريقة تربية الجدين الأمر الذي يخلق ربما مشكلات مستمرة حول أدق التفاصيل".

_ كان لدينا نسبة (40%) من أصل (90%) يفضلون أن يكون السكن المستقل للزوجين في منزل ملك وليس إيجار، ومرد ذلك أن المنزل الملك يعطي إحساس بالاستقرار والأمان، ويجنب الأسرة التنقل المستمر من منزل إلى آخر. عدا عن قيام المؤجر برفع الأجارات باستمرار، أو تهديد ساكنيه بإخراجهم إذا ما رفضوا ذلك. إضافةً إلى أن السكن بالإيجار يؤدي إلى ضياع جزء كبير من دخل الأسرة في تسديد إيجار المنزل، ويحول دون استثماره في الإنفاق على متطلبات الأسرة وحاجياتها. وبرأي أحد المبحوثين أن السكن بالإيجار يفقد الزواج أهم خاصياته وهو الاستقرار معبراً عن ذلك بـ: "أن السكن بالإيجار يفقد الأسرة استقرارها بسبب التنقل الدائم من منطقة إلى أخرى، ما يجعل علاقات أفرادها مع الآخرين مؤقتة، عدا عن الفترة اللازمة للأبناء للتأقلم مع الوضع الجديد في مدارسهم في كل مرة يغيرون فيها مسكنهم، ناهيك عن تأثر أثاث المنزل وجعله بحالة سيئة نتيجة التنقل"

_ وكان لدينا (50%) من أصل (90%) ليس لديهم مشكلة إن كان المنزل إيجار أو ملك وبرأيهم أن ينتظر الشاب امتلاك منزل ليتزوج من الممكن أن يمنعه الزواج نهائياً في ظل غلاء

أسعار العقارات ومحدودية الدخل. وبحسب آرائهم إن وجود الحب والتفاهم بين الشريكين أهم من المنزل الملك.

ب_ الدخل

حين تطرقنا مع المبحوثين إلى أهمية وجود الدخل الثابت أكد (80 %) منهم ضرورة وجود دخل ثابت مع تأكيد أهمية وجود عمل آخر حيث أجمعوا على أن الرواتب والأجور التي يتقاضاها الموظفون في القطاع العام والخاص بالرغم أنها لا تكفي لتلبية حاجات أية أسرة مهما صغر حجمها تكاد لا تكفي أسبوع أو عشرة أيام، مع ذلك يبقى الدخل الثابت يحقق شعور الأمان للأسرة، معبراً عن هذه الفكرة قول أحد المبحوثين: "بالرغم من ضعف الدخل الثابت في الوقت الراهن إلا أني أجده لا بأس به عندما أصبح مسناً فهو سيكفيني لتأمين الخبز"

أكد بعض المبحوثون ضرورة أن يكون كلا الزوجين موظف مع وجود عمل إضافي لكل شخص منهما فمصدر واحد للدخل بات لا شيء أمام صعوبات الحياة الراهنة. وقد عبر أحد المبحوثين قائلاً: "أنا لدي دخل ثابت وزوجتي كذلك الأمر، ونحن نعمل عملاً إضافياً وما يكاد الشهر ينتهي إلا والديون متراكمة علينا، فكيف للشاب أن يتزوج من دون دخل ؟ من هنا أجد أن الدخل أهم عامل من متطلبات الزواج"

في حين أكد (20%) من المبحوثين عدم ضرورة وجود دخل ثابت وتفضيل الأعمال الحرة كالتجارة أو غيرها من الأعمال التي تدر دخلاً يفوق إيجار أية وظيفة بعشر مرات. وعلى حد تعبير أحد المبحوثين "الالتزام بالوظيفة خمسة أيام في الأسبوع، سبع ساعات في اليوم هو مضيعة للوقت، وإذا حاول الشخص العمل بأي عمل خاص قد يدخر أضعاف ما قد يحصل عليه من دخل الوظيفة الثابت"

ج _ حفل الزفاف

وفيما يخص حفل الزفاف كان لدينا (56.7%) مع فكرة إلغاء حفل الزفاف نهائياً على اعتباره أمر غير ضروري وسيكلف العريس تكاليف زائدة يمكن توظيفها بشراء أثاث المنزل، أو أي احتياج آخر أكثر ضرورة للحياة الزوجية خاصةً في ظل الغلاء وارتفاع كل أسعار السلع الضرورية منها والكمالية. وبحسب تعبير أحد المبحوثين: "مهما اختصرنا عدد حضور حفل الزفاف إذا ما أردنا أن نقيم حفل بات من المستحيل أن يكفي مبلغ مليون ليرة"

وجد (36.7%) من المبحوثين ضرورة إقامة حفل الزفاف ولكن بشرط أن يكون متواضع والاقتصار على أهل العروسين فقط، وتجنب التكاليف الباهظة التي لا معنى لها، وقد عبر أحد المبحوثين عن ذلك: "مهما كانت التجهيزات لحفل الزفاف فهي لن تنل إعجاب الجميع ورضاهم، لذا فإني أرى إقامة حفل صغير للعروسين وأسرتيهما كي لا تبق حسرة لدى العروس"

وبالمقابل كان لدينا (6.6%) من المبحوثين ضد إلغاء حفل الزفاف أو التواضع فيه. وقد ذكر أحد المبحوثين أن : "لن يتزوج الفرد كل يوم فدعه يفرح في ليلة العمر ويعيش كل التفاصيل الجميلة، وبالعموم فإن من يبدأ حياته بالحرمان سيكمل حياته بالحرمان"

وفيما يخص موضوع المصاغ الذهبي أجمع معظم المبحوثين عن ضرورة التخلي عن الذهب مع تأكيد (30%) منهم على ضرورة وجود محبس ذهب للفتاة على أقل تقدير.

وعن فستان الزفاف فقد كان لدينا (76.7%) ممن قالوا بضرورة ارتداء العروس للفستان معللين ذلك بأن عدم ارتداء الفتاة فستان زفافها سيبقى حسرة ترافقها مدى الحياة. وبالمقابل كان لدينا (23.3%) ضد فكرة أهمية الفستان كمطلب من متطلبات الزواج التي لا يمكن التخلي عنها. أما عن جلسة التصوير وكان لدينا (70 %) من المبحوثين ممن قالوا أنها ليست مطلباً ضرورياً لا يمكن التخلي عنه من كون أن توفر أجهزة الاتصال الحديثة المزودة بكاميرات تتمتع بدقة عالية بات يؤدي ذات الغرض من جلسة التصوير. و كان لدينا (30 %) قالوا لا يمكن التخلي عنها من فكرة تخليد هذا اليوم بصور للذكرى.

يلاحظ من أجوبة المبحوثين رفضهم التخلي عن المتطلبات التي تعتبر ضرورية لاستقرار الزواج واستمراره كالسكن المستقل والدخل الثابت، وبالمقابل فقد أيد معظمهم تقريباً التخلي عن المتطلبات ذات الطابع الكمالي في الظروف الراهنة التي يمر بها مجتمعنا كحفل الزفاف، والمصاغ الذهبي، وارتداء الفستان وجلسة التصوير. وهذا يدلل ربما على موضوعية ومرونة التعاطي لدى المبحوثين مع مفرزات الحرب، وما خلفته من ظروف كان من الصعب التعامل معها أو تجاوزها لولا تلك المرونة.

مما تقدم يلاحظ تعقد ظاهرة الزواج وتداخل أبعادها، إضافةً إلى تأثر المقبلين على الزواج بالمشكلات الاقتصادية للمجتمع كالبطالة، وغلاء المعيشة وضعف الأجور، وأزمة السكن وغيرها من المشكلات التي تفاقمت منذ اندلاع الحرب التي شهدتها سورية عام /2011/.

9- أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة

توصلنا بعد جمع البيانات وتحليلها إلى مجموعة من النتائج تمثلت بـ:

_ تأكيد معظم المبحوثين أن الحرب أثرت بشكل مباشر في تأخير الزواج، ورفع متوسط السن عند الزواج الأول لدى الجنسين وإن كان ذلك أكثر وضوحاً لدى الذكور منه عند الإناث.

_ تأكيد أكثر من ثلثي المبحوثين أن سن الزواج المناسب عند الذكور يقع بين الـ (31- 40) سنة.

_ رفض معظم المبحوثين التخلي عن السكن الزوجي المستقل لإتمام الزواج، مع تأكيد النصف منهم أنه لا فرق سواء كان ملكاً أو إيجاراً.

_ تأكيد معظم المبحوثين على أهمية وجود دخل ثابت بغض النظر إن كان كافياً أو لا كون وجوده يمنح شعور الأمان والاستقرار للأسرة.

_ تأكيد معظم المبحوثين ضرورة إلغاء حفل الزفاف أو اقتصاره على أهل العروسين والاستفادة من تلك التكاليف في تأمين حاجيات أخرى أكثر أهمية في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعاني منها من هم في سن الزواج.

_ تأكيد حوالي ثلاثة أرباع المبحوثين عدم أهمية ارتداء الفتاة لفستان العرس أو إقامة جلسة التصوير الخاصة.

_ تأكيد معظم المبحوثين أن السن الأنسب لزواج الشاب هو فوق الـ 30 سنة.

_ وصلنا إلى أن السن المناسب لزواج الفتاة هو دون الـ 30 سنة عند ثلث المبحوثين، وأقل من 25 سنة لدى أكثر من نصف المبحوثين بقليل.

المقترحات

1- اتخاذ المؤسسات المجتمعية والمنظمات الأهلية إجراءات تساعد الشباب في تأمين بعض متطلبات الزواج مثل: إجراء الأعراس الجماعية وتقديم بعض التجهيزات المنزلية التي يحتاجها المقبلين على الزواج.
2- الاتفاق بين المصارف العامة والخاصة والمؤسسات المعنية ببيع الأجهزة الكهربائية والمعدات المنزلية لتقديم قروض ميسرة بفوائد مخفضة ولفترات طويلة عن المعتاد بحيث يستطيع المقبل على الزواج تأمين أثاث منزله.
3- إجراء ندوات بمشاركة أخصائيين اجتماعيين للتوعية بخطورة تأخر سن الزواج وعزوف الشباب عنه على المنظومة القيمية والأخلاقية للمجتمع خاصةً أن تأخر الزواج قد يسهم في انتشار العلاقات الجنسية غير المشروعة.
4- التوسع في دراسة الظاهرة من قبل الباحث وباحثين آخرين لما للزواج وتكوين أسرة من أهمية في استقرار حياة الفرد، واستقرار المجتمع ومنظومته القيمية من جهة أخرى.

المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية:

_ صندوق الأمم المتحدة للسكان مركز الاستجابة الإقليمية للأزمة السورية، 2016.

_ المركز السوري لبحوث السياسات، 2013.

_ قانون الأحوال الشخصية السوري.

_ بلميهوب، كلتوم (2010). **الاستقرار الزواجي دراسة في سيكولوجية الزواج**. المكتبة العصرية: مصر.

_ خليل، محمد محمد بيومي (2009). **العزوف عن الزواج مشكلة للدراسة**. جامعة الزفازيق: مصر.

_ دياب، سهيل رزق (2003). **مناهج البحث العلمي**، فلسطين.

_ سبيلا، محمد؛ الهرموزي، نوح (2019). **موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة**. المركز العلمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية: العراق.

_ سرور، عبير محمد (2016). **زواج القاصرات في الأسرة الريفية المهجرة**. مجلة جامعة دمشق، المجلد 32، العدد 2، جامعة دمشق: سورية.

_ السناد، جلال (2007). **تأخر سن الزواج لدى الشباب الجامعي (دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق)**. مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد1، جامعة دمشق: سورية.

_ لبرش، راضية (2017). **أسباب عزوف الشباب على الزواج**. مجلة علوم الانسان والمجتمع، العدد 24، جامعة خنشلة: الجزائر.

_ مان، ميشيل (1999). **موسوعة العلوم الاجتماعية**. دار المعرفة الجامعية: الاسكندرية.

المراجع الأجنبية:

- PREM C. SAXENA, ANDRZEJ KULCZYCKI and ROZZET JURDI

(2004) **Nuptiality Transition and Marriage Squeeze in Lebanon**

Consequences of Sixteen Years of Civil War, Journal of Comparative

-Family Studies, Vol. 35, No. 2, TURBULENT TIMES AND -1

FAMILY LIFE IN THE CONTEMPORARY MIDDLE EAST .

دليل المقابلة

البيانات العامة:

1. الجنس ذكر أنثى

2. العمر 21– 30 31– 40 41– 50 51 وما فوق

3. مكان الإقامة ريف مدينة

4. الوضع الاجتماعي عازب متزوج مطلق أرمل

5. مستوى الدخل 101 ألف_ 200 ألف 201 ألف–300 ألف 301– 400 ألف 401_ 500 ألف 501 ألف وما فوق.

أسئلة المقابلة:

بدايةً؛ قبل أن أبدأ بطرح الأسئلة أتوجه إليك بالشكر الجزيل على المشاركة في عينة البحث الذي سأحاول من خلالها استطلاع رأيك حول أهم متطلبات الزواج، والسن المناسب له في ظل المنعكسات الاقتصادية للحرب على سورية.

كما هو واضح من عنوان البحث، أنا أحاول هنا استطلاع رؤية وتصورات قاطني حي الرميلة في مدينة جبلة، مع العلم أن مضمون هذه المقابلة سيستخدم لتحليل هذه الظاهرة الاجتماعية بهدف إغناء البحث العلمي والاجتماعي وليس لأي غرض آخر أياً كان.

تأثير الحرب

هل أثرت الحرب في تغيير السن عند الزواج الأول؟

سن الزواج

برأيك؛ ما هو السن المناسب لزواج الشاب؟ 21– 25 26– 30 31– 35 36– 40 41 فأكثر ولماذا؟

برأيك؛ ما هو السن المناسب لزواج الفتاة؟ أقل من20 21- 25 26- 30 31- 35 36- 40 41 فأكثر ولماذا؟

متطلبات الزواج

ما هي المتطلبات التي تعد ضرورة ولا يمكن التخلي عنها لإتمام الزواج من وجهة نظر أفراد العينة ؟

1_ هل أنت مع التخلي عن السكن المستقل لإتمام الزواج؟ نعم لا ولماذا؟

2_ هل أنت مع التخلي عن الدخل الثابت لإتمام الزواج؟ نعم لا ولماذا؟

3_ هل أنت مع التخلي عن حفلة الزفاف لإتمام الزواج؟ نعم لا ولماذا؟

4_ هل أنت مع التخلي عن المصاغ الذهبي لإتمام الزواج؟ نعم لا ولماذا؟

4_ هل أنت مع التخلي عن ارتداء فستان الزفاف؟ نعم لا ولماذا؟

5_ هل أنت مع التخلي عن جلسة التصوير الخاصة؟ نعم لا ولماذا؟

نكبة البرامكة

قراءة في الأسباب

*د- وفاء صارم **د- شيرين حمودي ***- رشا عمران

الملخص

ساهم الفرس بشكل كبير في تأسيس الدولة العباسية والقضاء على الأمويين ولذلك تنوعت فيما بعد سياسة العباسيين تجاه هذه العناصر الفارسية فكانت تقوم على المشاركة والموازنة ضمن إشراف الدولة العباسية وطاعة الخلفاء والكبت والقمع في حال الخروج عن طاعة الخلافة والخلفاء في أوقات أخرى وكان ذلك ما اتبعه العباسيون مع البرامكة ففي البداية تم تقريبهم من الخلفاء العباسيين الذين اعتمدوا عليهم بشكل كبير في تسيير أمور الخلافة لكنهم مالبثوا أن أطاحوا بهم وقام الرشيد بنكبتهم بعد أن شعر بخطرهم وسيطرتهم السياسية والمالية والنفسية على الخلافة والخليفة.

كلمات مفتاحية : البرامكة، الفرس، العباسية .

الدكتور المشرف : وفاء صارم [1] **لدكتور المشارك : شيرين حمودي[2]**

[1] الدكتور المشرف: وفاء صارم أستاذ مساعد في قسم التاريخ اختصاص عرب وإسلام ، كلية الآداب ، جامعة تشرين .

[2] الدكتور المساعد: شيرين حمودي أستاذ مساعد في قسم التاريخ اختصاص عرب وإسلام ، كلية الآداب ، جامعة تشرين .

The Nakba of Baramkeh - A reading of the causes

*d- Wafa Sarim **d- Sherine Hamoudi ***- Rasha Omran

Summary:

The Persians contributed greatly to the establishment of the Abbasid state and the elimination of the Umayyads. Therefore, the policy of the Abbasids towards these Persian elements diversified later, and it was based on participation The balance is within the supervision of the Abbasid state and obedience to the caliphs, and repression and repression in the event of deviation from obedience to the caliphate and the caliphs at other times and this was what the Abbasids followed with the Baramkeh. After he felt their danger and their political, financial and psychological control over the caliphate and the caliphate.

Permanent Keywords: Al-Baramkeh, Al-Faras, Al-Abbasiya

supervising doctor: Wafa Sarim [1]

Associate Doctor: Sherine Hammoudi[2]

1- Supervising Doctor: Wafaa Sarem Assistant professor .Department of History College of Literature Tishreen University

2- Associate Doctor: Shireen Hammoudi Assistant professor .Department of History College of Literature Tishreen University .

1- مقدمة:

لا تزال قضية البرامكة قضية شائكة على الرغم من الكتب الكثيرة التي تعرضت لها قديما وبرغم البحوث التي تناولتها حديثا ،وكذلك يلاحظ تضارب الآراء في أسباب نكبتهم ومدى أثرهم على الدولة العباسية سواء كان إيجاباً أم سلباً، ومهما كان المرء متعصباً للعرب فهو لا يستطيع إنكار الدور الحضاري الذي أداه البرامكة على الصعيدين السياسي والعسكري في دعم الخلافة العباسية وازدهارها وذلك من خلال الحروب التي شاركوا بها أو من خلال حنكتهم السياسية ورأيهم السياسي السديد الذي تمتعوا به والذي كان له دور في تثبيت مركزهم وقوتهم لدى العباسيين ، كذلك كان لهم دور كبير على الصعيد الأدبي أو الاجتماعي من خلال دعمهم للشعراء وإقامتهم المباني الضخمة وإشرافهم على ترجمة الكتب واستقدامهم الاطباء.

هدف البحث: تسليط الضوء على البرامكة أصلهم ودورهم السياسي في الخلافة العباسية وذلك للوصول إلى نكبتهم والاطلاع على الأسباب التي أدت إلى ذلك.

أهمية البحث: تأتي من خلال معرفة المكانة التي حظي بها البرامكة في الخلافة العباسية ودورهم في عدد من الأحداث السياسية التي يبدو أنها كانت تهدف لتحقيق مصالحهم السياسية والمالية فقط.

إشكالية البحث: تأتي من خلال السؤال هل كان دور البرامكة مؤقتاً في الخلافة العباسية وانتهى بانتهاء مصلحة الخلفاء وشعورهم بقدرتهم على ضبط الأمور؟ وهل شعر الرشيد بالندم من خلال قيامه بنكبتهم؟

منهج البحث: المنهج المتبع في البحث فقد اعتمد على مصادر متنوعة وكان منهج الاستقراء والتحليل والنقد والاستنتاج والمقارنة هو المنهج المتبع وذلك في محاولةٍ للوصول إلى الوقائع والأحداث الأقرب للحقيقة .

2- نسب البرامكة وإسلامهم:

ينتسب البرامكة إلى خالد بن برمك بن جاماس وكانوا من أشراف الفرس من المجوس ، واشتهر منهم برمك بخدمة النوبهار[1] في مدينة بلخ[2] حيث يقوم بخدمة النار المقدسة وانتسب البرامكة إلى هذا الشخص برمك ،بنى النوبهار منوشهر بمدينة بلخ في خراسان على اسم القمر ،وكان من يتولى سدانته تعظمه الملوك وتنقاد إلى أمره وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال ، وكان يسمى من يتولى سدانته البرمك أي انها كانت سمة عامة لكل من يتولى سدانته ومن أجل ذلك سمي البرامكة بهذا الاسم لأن خالد بن برمك كان من المولودين على خدمة هذا البيت أي أن برمك لقب وليس اسم لشخص معين[3].

وصف ياقوت الحموي البرامكة بأنهم أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم عبادة الأوثان فوصفت لهم مكة وحال الكعبة بها وماكانت قريش ومن والاها من العرب يأتون إليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الأصنام وزينوه بالديباج ،كان الفرس يقدسون النوبهار هذا المكان المقدس بالنسبة لهم وتحج إليه وتهدي له وتلبس انواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانوا

[1] النوبهار : هو البهار الجديد لأن نو الجديد ، وكانت سنة عبدته إذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا أو طاقا شريفا كللوه بالريحان وتوخوا لذلك أول ريحان يطلع في ذلك الوقت فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار فسمي نوبهار بذلك ، وقد اتخذ البرامكة في بلخ بيت النوبهار هذا مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الأصنام وزينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ؛ فرج(هولو جودت): البرامكة – سلبياتهم وإيجابياتهم، دار الفكر اللبناني، بيروت،ط1 ، 1990م ، ص10.

[2] بلخ: مدينة مشهورة في خراسان ، قيل بناها هراسف الملك والبعض يذكر الإسكندر، وافتتحها الأحنف بن قيس في أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ الحموي(شهاب الدين ياقوت بن عبدالله ت 623هـ/ 1226م): معجم البلدان ،دار صادر، بيروت ، 1977م، ج1، ص479-480.

[3] المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين ت 346هـ / 957م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ج2، ص238؛ الدوري(عبدالعزيز): العصر العباسي الأول –دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط3، 1997م، ص122.

يسمون السادن الأكبر برمك لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه برمكة ولذلك كان من ولي منهم السدانة برمكا وكانت ملوك كابل[1] والهند والصين وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج إلى هذا البيت وكانوا يسجدون للصنم الأكبر ويقبلون يد برمك الذي بقي يتولى إدارة النوبهار حتى كان فتح خراسان على يد عثمان بن عفان[2] وانتهت السدانة إلى برمك أبي خالد بن برمك[3] .

هذا بالنسبة لأصل ونسب البرامكة وسدانتهم وعبادتهم للنار أما بالنسبة لإسلامهم فهناك تناقض في الروايات التي ذكرتها المصادر فيذكر الحموي أن السدانة انتهت إلى برمك أبي خالد البرمكي كما تمت الإشارة وبعد فتح خراسان على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه سار برمك إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه مع رهائن ثم أسلم وعند رجوعه أنكر عليه قومه ذلك وكتب إليه نيزك طرخان أحد الملوك يدعوه للرجوع لدين آبائه فأجابه برمك أنه دخل هذا الدين عن اختيار وعلم ومن غير خوف أو رهبة " ولم اكن لأرجع إلى دين بادي العوار مهتك الأستار" وهنا غضب نيزك وهاجم برمك وقتل عددا من أبنائه ولم يبق له سوى برمك أبو خالد حيث فرت أمه به إلى كشمير حيث نشأ هناك على دين آبائه ثم إن أهل بلده الأصلية أصابهم الطاعون فشعروا بالتشاؤم وتركوا دينهم ودخلوا الإسلام وكتبوا إلى برمك للعودة وتولي مكان والده النوبهار ، وبعد ذلك تزوج برمك بنت ملك الصغانيان فولدت له خالد بن برمك التذي كان له شأن كبير في الدولة العباسية[4]، لكن التناقض هنا في مارواه الحموي أنه مرة يقول أن برمك أبو خالد عاد إلى بلاده الأصلية بعد إسلام أهلها أي أن البلاد أصبحت تدين بالإسلام وبالطبع لا بد أن يعلن برمك إسلامه فور عودته للبلاد لكن لو كان الإسلام صحيحا لما تمت عودته

[1] كابل: قيل كابل من ثغور طخارستان ، ويوجد بها العود والنارجيل والزعفران واهليلج لانها متاخمة للهند ،غزاها المسلمون في أيام مروان بن الحكم، الحموي: معجم البلدان،ج4، ص426.

[2] عثمان بن عفان: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رضي الله عنه ،يكنّى أبا عبدالله ، وأبا عمرو ، وأمه أروى ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، بويع بالخلافة سنة 24هـ /645م ، وكانت وفاته 35هـ/656م في المدينة وله من العمر اثنتين وثمانين سنة ،ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 48؛ أبو السرور (أبو الحسن علي بن أبي عبدالله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن الروحي د ت) : كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تح ، محمد زينهم محمد عزب ، بورسعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ت ، ص 28-29.

[3] الحموي : معجم البلدان ، ج5، ص307-308.

[4] الحموي: معجم البلدان ، ج5، ص308.

وتوليته مكان والده النوبهار وهو مكان لعبادة الاوثان، أي أن إسلام أهل المنطقة وإسلام أبو خالد برمك مشكوك به من خلال ماتم ذكره[1].

يروي الطبري قصة أخرى عن إسلام البرامكة فيقول أن قتيبة بن مسلم[2] سبى وأسر زوجة برمك ووالدة خالد عندما فتح بلاد مرو وخراسان سنة 86هـ / 705م ثم أعطى أخاه عبدالله زوجة برمك كسبية من السبايا فحملت منه ثم أعاد قتيبة الأسرى فرجعت زوجة برمك وفي بطنها ولد من عبدالله هو خالد حيث تربى في ديارهم[3] أي في النوبهار، وبالطبع هذه الرواية مشكوك في صحتها لأن سبي إمرأة برمك حصل سنة 86هـ/705م وعبدالله أعادها لزوجها في اليوم التالي فلا بد أن تكون ولادة خالد نفس السنة أو في سنة 87هـ /706م لكن غالبية المصادر تقول أن ولادته كانت سنة 709/90م هـ[4]، وهذه الرواية فيها الكثير من المبالغة في وذلك في محاولة لإعادة نسب برمك للعرب وهذا غير ممكن وخاصة من خلال الحادثة التي تم ذكرها. وأيضا هناك عدد من المؤرخين يشك في إسلام البرامكة فيقال أن برمك من المجوس ولا يعلمون إن أسلم أم لا[5].

[1] الحموي : معجم البدان ، ج5، ص308 ؛ جودت: البرامكة –سلبياتهم وإيجابياتهم ، ص11-12.

[2] قتيبة بن مسلم: هو قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصين آمر خراسان زمن عبدالملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهو الذي افتتح خراسان وسمرقند وبخارى و، كانت ولادته سنة 49هـ/ 669م وتوفي سنة 97هـ/ 716م ؛ ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد ت 681هـ/ 1282م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر ، بيروت، ج4، ص86.

[3] الطبري(محمد بن جرير ت 310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر، د . ت، ج6، ص425.

[4] فياض (عبدالله) : تاريخ البرامكة، د. د ، بغداد، 1947م، ص56؛ فرج: البرامكة –سلبياتهم وإيجابياتهم، ص15.

[5] فياض: تاريخ البرامكة، ص55؛ ويذكر حسن إبراهيم حسن أن البغدادي اتهم البرامكة بالزندقة والميل إلى المجوس ودليله على ذلك رغبتهم بتعمير المساجد ومحاولتهم إقناع الرشيد بأن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود فعلم الرشيد بذلك وأنهم أرادو عبادة النار في الكعبة؛ حسن (إبراهيم حسن):تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجبل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996م، ج2، ص141.

3- البرامكة في إطارهم السياسي :

عرف عن الإسلام بأنه دين التسامح وقد اتبع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم اسلوب المساواة بين جميع المسلمين على اختلاف جنسياتهم وبعد وفاته اقتدى به الخلفاء الراشدين ، ولكن في العهد الأموي تغير الوضع من خلال اتباع الأمويين سياسة تقوم على تمييز العرب عن بقية العناصر في المجتمع وأظهروا تعصبهم في ذلك فاحتقروا العديد من الموالي وفرقوهم عن أسيادهم العرب وبالطبع دفع ذلك الموالي وبقية عناصر المجتمع الغير العربية على مناصرة أي ناقم على الأمويين ولذلك ساندوا العباسيين وفي مقدمتهم الفرس الذين كان لهم دور كبير في سقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية مكانها ومن خلال قادة الفرس كأبي مسلم الخراساني[1] وغيره من القادة الفرس تمكن هؤلاء من التغلغل إلى الخلافة العباسية والسيطرة على عدد من مقاليد الأمور في الخلافة وإدارتها صحاب الدولة وحماتها واستأثروا بشؤون الخلافة[2]، وقد أوصى الخلفاء العباسيين بإكرام هؤلاء الفرس اعترافا منهم بفضلهم ومن ذلك ماقاله المنصور في وصيته لابنه المهدي" وانظر مواليك فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم ...وأوصيك بأهل خراسان خيرا فإنهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودمائهم في دولتك وان لا تخرج محبتك من قلوبهم وان تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم وتخلف

[1] أبو مسلم الخراساني: عبدالرحمن بن مسلم ، أحد كبار القادة الفرس الذين اعتمد عليهم العباسيون في تأسيس دولتهم ، استولى على نيسابور وهزم جنود مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في معركة الزاب ، كان فصيحاً بالعربية والفارسية ، ويوصف بأنّه داهية ، وقد قتله الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بعد أن شعر بخطره وكان ذلك في سنة 137هـ/753م، الزركلي (خير الدين الزركلي) : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط15، 2002م ، ج3 ، ص353 ؛ ويذكر ابن العمراني أنّ أبا مسلم لقّب بصاحب الدولة واسمه عبد الرحمن ، كان لقيطاً ربّاه رجل من أهل الكوفة ، وقد قيل له أبو مسلم الخراساني لأنه أقام كثيراً في خراسان ، وقد تسلم ولاية خراسان بعد الاعلان عن قيام الدولة العباسية ومركزها بغداد ، وقد عرف برجاحة عقلة وحسن تدبيره وكرمه وحلمه واتقانه اللغة العربية ، ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت580هـ --1185م) : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تح ، قاسم السامرائي ،القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ط1 ، 1999م ص67 ؛الثعالبي (عبد العزيز) : سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية 132هـ/750م ، تح ، حمادي الساحلي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1995م ، ص57.

[2] قدورة(زاهية): الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1972م، ص24.

من مات منهم في أهله وولده"[1]. استخدم الخلفاء العباسيين رجال الفرس في بلاطهم وقدموهم في مناصب الدولة فمنهم الوزراء والكتاب ، وترقى الفرس وحصلوا على أعلى المناصب عند العباسيين أيام البرامكة وتولوا الوزارة وأول من اتصل بالعباسيين من البرامكة كان خالد بن برمك وهنا بدأت الأسرة البرمكية بالظهور على مسرح الأحداث السياسية العباسيةوكان منهم .

1- خالد بن برمك:

كان خالد بن برمك من رجال الدولة العباسية لمع اسمه عندما أظهر براعة وبسالة حربية في قيادته لبعض الجيوش الخراسانية تحت لواء أبي مسلم الخراساني، نظم الخراج وتسلم الغنائم وقسمها في جيش قحطبة بن شبيب قائد أبو مسلم الخراساني بشكل عادل وأرسل مع المسيب بن زهير إلى دير قنى لإدارة هذا الإقليم ثم سلمه الخليفة أبو العباس السفاح ديوان الخراج والجند بسبب ثقته الكبيرة به وتمكن خالد من تنظيم الدواوين وجعلها في دفاتر مكتوبة، فأعجب به السفاح وقربه منه أكثر[2].

بعد أن تم مقتل أبو سلمة الخلال الملقب بوزير آل محمد استوزر السفاح خالد بن برمك والذي كان أول وزير من البرامكة ويذكر ابن طباطبا إن كل من استوزر بعد أبي سلمة كان يتجنب أن يسمى وزيرا بسبب الخوف مما جرى لأبي سلمة وأن يلقوا نفس المصير ، فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء ولا يسمى وزيرا[3].استمرت وزارة خالد البرمكي في

[1] ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت 630هـ / 1232م) : الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج5، ص216؛عطوان(حسين): الدعوة العباسية –مبادئ وأساليب ،دار الجبل ، بيروت،د ت، ص241.

[2] الجهشياري(أبو عبدالله محمد بن عبدوس ت 331هـ/ 943م): الوزراء والكتاب ،تح: مصطفى السقا' عبدالحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة، 1938م، ص87-89؛ محمود(حسن أحمد)، الشريف(أحمد إبراهيم): العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، د ت ، ص105.

[3] ابن طباطبا (محمد بن علي الملقب ابن الطقطقي): الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر ، بيروت، د ت ، ص156.

عهد الخليفة المنصور الذي أرسله لمحاربة الاصبهذ وتمكن من الانتصار عليه واستولى على كنوز الأكاسرة[1]، قام المنصور بتولية خالد البرمكي عدة ولايات مثل بلاد فارس والتي لم يطل عهده بها بسبب الوشاية به عند الخليفة المنصور التي عزله عنها ، ولكنه ما لبثت أن عادت الثقة بخالد البرمكي وتم توليته الري وطبرستان فبقي على ولاية طبرستان سبع سنوات حيث تمكن من إخماد ثورة فيها وبسبب ذلك قام أهل طبرستان بنقش صورة خالد وسلاحه على دروعهم [2]. أيضا ولاه الخليفة المنصور الموصل سنة 148هـ/ 766م بعد أن أشار عليه المسيب بن زهير بذلك وهناك أحسن للناس وحارب المفسدين وانتصر عليهم[3]، أيضا كان لخالد البرمكي دور كبير في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ونقل البيعة للمهدي ابن المنصور ، فعندما عجز المنصور عن تنحية عيسى بن موسى 147هـ / 768م استعان بخالد البرمكي فذهب إليه مع ثلاثين رجلا من كبار الشيعة وأعطوه رسالة من الخليفة المنصور فقال "ماكنت لأخلع نفسي وقد جعل الله عز وجل الأمر ولي"[4] ويبدو أن الرسالة كانت تحمل التهديد من الخليفة المنصور ولا سيما مع وجود هذه الأعداد من الرجال برفقة خالد البرمكي والذين كانوا رسالة تهديد بشكل واضح وهنا اضطر عيسى بن موسى لخلع نفسه وتم أخذ البيعة للخليفة المهدي .في سنة 163هـ / 780م وعلى الرغم من تقدم خالد البرمكي في السن إلا أنه أبلى بلاء حسناً في محاربة الروم البيزنطيين والاستيلاء على "سمالو" وهو أحد حصون البيزنطيين وذلك بعد أن تم إرساله من قبل الخليفة المهدي على رأس جيشٍ كبير برفقة هارون الرشيد لغزو الروم وكان برفقتهم ابنا خالد البرمكي الذي يبدو أن والدهم أراد زجهم في المعترك الحربي والسياسي إلى جانب القادة والخلفاء العباسيين وكان هارون الرشيد يشاوره في كافة التفاصيل ويعود إليه للأخذ برأيه مما يدل على مكانته الكبيرة لدى

[1] ابن الفقيه(أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني): كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ/ ، ص214.
[2] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 136.
[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص186.
[4] ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص172.

الخلافة العباسية وقد استمر الوضع على ذلك وخالد البرمكي يحافظ على مكانته حتى كانت وفاته أواخر سنة 163هـ /780م [1].

2- يحيى بن خالد:

ظهر يحيى بن برمك على مسرح الأحداث السياسية في الدولة العباسية كشخصية بارزة كان لها دوراً كبيراً في الأحداث السياسية فقد رافق الرشيد في حملة سمالو مع أبيه خالد البرمكي وعرف عن يحيى البرمكي حسب وصف ابن طباطبا بأنه كان صائب الأراء ،حسن التدبير ،ضابطاً لما تحت يديه ، قويا على الأمور[2]، وبسبب ذلك قربه الخليفة المهدي منه وأصبحت علاقتهم وثيقة ودليل ذلك أنه حين ولد الفضل بن يحيى سنة148هـ / 765م وهي نفس الفترة التي ولد بها هارون الرشيد قامت الخيزران بإرضاعهم فكان الفضل بن يحيى أخا لهارون الرشيد من الرضاع وبذلك زادت العلاقات بين الجانبين[3].في سنة 161هـ /778م عهد الخليفة المهدي ليحيى بن فضل بتربية ابنه هارون الرشيد وتأديبه وذلك لثقته الكبيرة به وعندما قام الخليفة المهدي بتعيين هارون الرشيد على المغرب وأذربيجان وأرمينية جعل يحيى بن خالد البرمكي على ديوان رسائله[4].

بعد وفام المهدي وتسلم الخليفة الهادي الخلافة بقي يحيى البرمكي على مابيده من الوظائف لكن مع محاولة الخليفة الهادي خلع الرشيد من ولاية العهد ونقلها لابنه جعفر وقف يحيى إلى جانب الرشيد من خلال تشجيعه على عدم الاستسلام والتنازل عن ولاية

[1] القحطان(محمد)، طاهر الدين(محمد): هارون الرشيد الخليفة المظلوم، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001م، ص37.
[2] ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص198.
[3] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص230.
[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص245؛ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج5، ص473؛ أيوب: التاريخ العباسي –السياسي والحضاري، ص63.

العهد[1].عندما علم الهادي بما يفعله يحيى البرمكي قام بحبسه وأراد قتله[2] لكن الأقدار شاءت غير ذلك حيث توفي الخليفة الهادي قبل تنفيذ ذلك ، ويحيط الغموض بوفاة الهادي فالبعض يعتقد أن الخيزران قتلته بالاتفاق مع يحيى لأنه كانت لديهما الأسباب والدوافع لذلك حيث أن الهادي جرد الخيزران من سلطتها السياسية التي كانت تمتع بها في عهده وأيضا بسبب خوفها على الرشيد من القتل ولكن هذا أمر مشكوك به [3]،وأيضا يورد البعض أن مايدل على أن الخيزران لها يد في مقتل الهادي عدم الاهتمام بالخبر وكأنها تعلم مسبقا بالأمر فالجهشياري يقول أنها بعثت فور موت الهادي برسالة ليحيى تقول فيها إن الرجل قد مات وهذا السلوك بعيد عن أم تنعي ابنها[4]. بعد وفاة الخليفة الهادي تولى الرشيد الخلافة وكان يحيى أول من بشره بها وسلمه الخاتم وبالطبع لم ينسى الخليفة هارون الرشيد جهود يحيى التي أوصلته للخلافة فاعترف بفضله وكان يعظمه وقلده الوزارة قائلا له" يا أبت أنت أجلستني في هذا المجلس بركتك ويمينك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الأمر ودفع خاتمه إليه "[5]. وبتولية يحيى الوزارة توصل عدد من أفراد أسرته إلى أسمى الدرجات حتى قيل إنها فترة السلطة البرمكية. ففي سنة 178هـ/ 794م فوض الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي جميع أموره فكانت كافة الامور بيده يعزل ويعين ويجمع ويفرق كما يشاء[6]، وبذلك أصبح الوزير يحيى الحاكم الفعلي الذي يتمتع بصلاحيات مطلقة فقام بإدارة أمور البلاد وسد الثغور وجنى الأموال وعظم بذلك شأنه وعمل برأيه[7].على الرغم من المنزلة العظيمة التي وصل إليها يحيى البرمكي لكن لا

[1] فرج: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ص25.
[2] أراد الهادي قتل يحيى وقال" أفسدت أخي والله لأقتلنك " اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ت292هـ /905م) : تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن، 1883م، ج2، ص490.
[3] بيطار(أمينة): تاريخ العصر العباسي ، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2006-2007م، ص100.
[4] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 175.
[5] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص280؛ أيوب: التاريخ العباسي-السياسي والحضاري، ص64.
[6] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص265.
[7] ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص198.

يمكن الجزم بأنه أشرف بنفسه على كافة شؤون الدولة باعتباره وزيرا لأن الرشيد خلال سنوات حكمه الأولى ترك ممارسة السلطة لأمه ولوصيه وكان على يحيى أن يعرض شؤون الرعية على الخيزران وينفذ أوامرها أي أن يحيى البرمكي كان تحت إشراف الخيزران ولذلك النصوص والمراجع التي تشير إلى أن سلطة يحيى البرمكي موكلة بتفويض واضح من الخليفة تعوزها الدقة[1]، ولكن يعود الجهشياري ويشير إلى أنه كانت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج تؤرخ باسم يحيى بن خالد ولم تكن تنفذ قبلا إلا عن الخليفة[2] وقد استمرت مكانة يحيى البرمكي كبيرة في خلافة الرشيد حتى كانت وفاته .

3- أبناء يحيى بن خالد البرمكي:

مكث يحيى في الحكم مدة سبعة عشر عاماً وقد ساعده في إدارة شؤون الخلافة أبناؤه الأربعة الفضل وجعفر ومحمد وموسى[3]، وقد وصفهم إبراهيم الموصلي[4] فقال " أما الفضل فيرضيك بفعله ، وأما جعفر فيرضيك بقوله ، وأما محمد فيفعل بحسب مايجد ، وأما موسى فيفعل مالايجد"[5]. وقد تبوء أبناء يحيى الأربعة مناصب عظيمة في الخلافة العباسية وكان الأشهر جعفر والفضل فقد ولى الرشيد جعفر المغرب كله من الأنبار إلى إفريقيا سنة 176هـ/ 792م، وقلد الفضل بن يحيى المشرق كله من النهروان إلى أقصى

[1] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص177؛ فرج: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم ، ص32.
[2] الجهشياري : الوزراء والكتاب، ص178.
[3] يذكر الجهشياري أن ليحيى ولدا يدعى إبراهيم ويسمى دينار بني برمك لجماله وحسنه وتوفي وهو في سن التاسعة عشر ؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص179.
[4] إبراهيم الموصلي : أبو إسحاق بن ماهان ويقال له ميمون بن بهمن بن نسك التميمي ، من بيت كبير من العجم ، أول خليفة سمعه المهدي ولم يكن في زمانه مثله في الغناء واختراع الألحان ، ولد في الكوفة سنة 125هـ/ 743م وتوفي في بغداد سنة 188هـ/ 804م ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج1، ص42.
[5] الأتليدي(محمد دياب ت 1100هـ/ 1688م): إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، دار صادر ، بيروت، 1990م،ص261.

بلاد الترك[1] ، أيضا لقب الوزير الذي كان يطلق على يحيى كان يطلق على الفضل بن يحيى وجعفر بن يحيى[2].

في سنة 177هـ/ 793م تم تسمية الفضل والياً على خراسان من قبل هارون الرشيد وهناك بنى المساجد وزاد الجند والقواد وجند جيشاً من العجم أطلق عليه اسم العباسية وبلغ عدده خمسمائة ألف رجل وأرسل عشرين ألف منهم لبغداد وظل البقية في خراسان[3]، وكان للفضل دورٌ كبيرٌ في أخذ البيعة لمحمد بن الرشيد فعندما تولى خراسان فرق الأموال على سكانها وأعطى الجند الأعطيات ثم أظهر البيعة لمحمد بن الرشيد وبايعه الناس وسماه الأمين[4] لكن في سنة 183هـ/ 799م غضب الحليفة الرشيد من الفضل بسبب أعماله ويرجع بعض المؤرخين السبب أنه عند سجن الإمام موسى الكاظم[5] عليه السلام مال الفضل للترفيه عنه فغضب الرشيد وصرف الفضل عن الأعمال والمناصب التي يتقلدها وبسبب توسط أم الفضل ومرضعة هارون الرشيد رضي عن الفضل لكنه لم يعد له شيئا من أعماله[6]وبقي فقط كوصي على ولي العهد محمد الأمين. أما بالنسبة لجعفر بن يحيى البرمكي والذي كان يميل إليه هارون الرشيد بشكل كبير ، كانت له مكانة كبيرة لدى الخليفة لم يشاركه بها أحد [7]، وبسبب أهمية مركز جعفر فقد نال لقب سلطان ، حتى أن الرشيد أمر بكتابة اسم جعفر على الدراهم والدنانير بمدينة السلام

[1] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 190.

[2] ابن المعتز(عبدالله بن المعتصم بن هارون الرشيد ت 296هـ/ 909م): طبقات الشعراء ، تح: عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، 1956م، ص214-215؛ محمود، أحمد : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص105.

[3] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص275؛ عطوان: الدعوة العباسية- مبادئ وأساليب، ص242.

[4] الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص193.

[5] موسى الكاظم: هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ،قتل في دار السندي بن شاهك والي شرطة بغداد في الكوفة زمن الخليفة هارون الرشيد وكان ذلك سنة 183هـ/ 799م وله من العمر تسع وأربعون سنة؛ الخصيبي (أبو عبدالله الحسين بن حمدان ت 334هـ/ 945م): الهداية الكبرى، دار البلاغ ، بيروت، 1993م، ص263-264.

[6] الجهشياري : الوزراء والكتاب، ص227.

[7] الخطيب البغدادي(أبي بكر أحمد بن علي ت 463هـ/ 1070م): تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى 463هـ المعروف بتاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1967م، ج7، ص152.

والمحمدية[1]، ازدادت مكانة جعفر لدى الخليفة الرشيد مع نجاحه في تنفيذ كافة المهام التي أوكلت له ولذلك في سنة 182هـ/ 798م حصل جعفر على الوصاية على عبدالله المأمون بعد أن أخذ له البيعة كولي للعهد بعد أخيه الأمين وبالتالي أصبح الفضل وجعفر وصيين على وليي العهد الأمين والمأمون ولكن لم يدم لهم الأمر فقد توقعا أن تبقى السلطة لآل برمك خلال عهد الامين والمأمون لكن الرشيد لم يسمح بذلك حيث نكبهم نكبة عظيمة[2].

4- نكبة البرامكة قراءة في الأسباب:

كان لنكبة البرامكة أسباب عديدة لكن هناك سبب يوجد خلاف حول صحته ويشك بأمره ، فقد اورد الباحثون أن من أسباب نكبة البرامكة حادثة العباسة أخت الخليفة هارون الرشيد الذي غضب من العلاقة بين جعفر البرمكي وأخته العباسة، لكن عدد من المصادر تنفي ذلك ،فابن خلدون ينفي تلك القصة ويجعلها من الأساطير ويقول أن مركز العباسة الديني والاجتماعي لا يسمح لها بذلك ولا سيما مع مولى من مواليها[3].ومما مواليها[3].ومما ينفي احتمال نكبة البرامكة بسبب العباسة كون الرشيد قد فكر بها قبل ستة ستة سنوات من وقوعها فقال ابن عبد ربه عن أحد الهاشميين أن الرشيد كلمه في أمر البرامكة واستبدادهم بالملك وبأموال الدولة وكان قتلهم بعد ستة سنين من ذلك اليوم[4].ويذكر اليعقوبي أن الرشيد قال لإسماعيل بن صبيح " إني أريد أن أفشي لك سرا واله لئن سمعته من أحد الناس لأضربن عنقك ...إني أريد أن أوقع بآل برمك إيقاعا ما أوقعته بأحد وأجعلهم أحدوثة ونكالة إلى آخر الأبد ثم حال الحول وحال حول ثان ثم

[1] فياض: تاريخ البرامكة، ص82-83.
[2] فرج: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ص143.
[3] ابن خلدون(عبدالرحمن المغربي ت 808هـ/ 1405م):مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دز ت، ص15.
[4] الدوري: العصر العباسي الأول، ص129.

حال ثالث فما كان رأس الحول الرابع حتى قتلهم[1]، ولذلك الرواية التي تحدثت عن غضب الرشيد من العلاقة بين جعفر والعباسة وذهب يبحث عن ابن العباسة في مكة وعند رجوعه أمر بنكبة البرامكة هي رواية ضعيفة حيث تختلف المصادر بعدد اولاد العباسة من جعفر حيث يقال أن الرشيد زوج جعفر من أخته العباسة لأنه لم يستطع مفارقتها فكيف يجوز أن يخفي عليه حملها تسعة أشهر في حال وجود صبي واحد وبعد ذلك تم إفشاء الأمر ولذلك تبدو الرواية غير معقولة[2] ، وبالتالي يتم استبعاد هذه الرواية ولا يتم إدخالها ضمن الأسباب الأساسية لنكبة البرامكة، ولذلك كان من أهم أسباب نكبتهم :

1- السبب السياسي:

يذكر بعض المؤرخين أن سبب نكبة البرامكة إطلاقهم يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي العلوي حيث يقول الطبري " أن الرشيد قتل جعفر بغير سبب يحيى بن عبدالله فلا تصدقه" حيث أن جعفر اطلق سراح يحيى من السجن دون إذن الرشيد فوشى به الفضل بن الربيع[3] فأغضب ذلك الرشيد وقال" قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة غن لم أقتلك (ويعني جعفر)"[4]، ومما تم ذكره يدل على تدخل البرامكة الكبير في شؤون الخلافة العباسية فأصبح جعفر صاحب القرار وإليه ترجع كافة الأمور فكان لا بد

[1] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج3، ص152؛ أيوب: التاريخ العباسي –السياسي والحضاري، ص66.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص227 ؛ فياض: تاريخ البرامكة، ص98؛ حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص140.

[3] الفضل بن الربيع: الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن أبي فروة ، أبو العباس ، جده كيسان مولى عثمان بن عفان ، كان الفضل مقرباً من الرشيد وساهم في زوال البرامكة بسبب كرهه لهم وشعوره بمنافستهم له عند الرشيد لذلك استمر في تحريض الرشيد ضدهم حتى كانت نكبتهم وزوالهم ، وتسلم الوزارة في عهد الرشيد وبقي فيها في عهد الأمين ، حرض الأمين في حربه ضد المأمون وخلعه من ولاية العهد وجعلها لابنه موسى من بعده وعندما دخل المأمون إلى بغداد اختفى حتى تمّ اعطاؤه الأمان كانت وفاته سنة 208هـ /823م وكان عمره وقتها 68سنة ، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ /1505م) : تاريخ الخلفاء ، إشراف ، محمد غسان نصوح عزقول الحسيني ، قطر ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط2 ، 2013م ، ص473 .

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 327-328 ؛ الطبري : تاريخ الطبري، ج8، ص289.

من وضع حد له . يشير ابن خلدون أن البرامكة غلبوا الرشيد على أمره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه ، ويقال أنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً بين صاحب قلم وسيف[1]، يبدو أن الرشيد شعر بالقلق من ازدياد نفوذ البرامكة وتطاولهم على الملك واستبدادهم بكثير من الأمور لذلك قام بوضع حد لهم فنكب جعفر صاحب النفوذ الكبير وسائر أفراد أسرته لأنهم شركاءه في هذه المكيدة السياسية، فيذكر ابن الأثير أن الرشيد نكب موسى بن يحيى بن خالد بعد أن وصله الخبر من علي بن عيسى بن ماهان قائد قوات الرشيد في خراسان بأن موسى البرمكي يحرض أهل خراسان على الخليفة ويحاول إخراجهم عن طاعته ولذلك قام الرشيد بحبسه ولكن بعد ذلك قام بإطلاق سراحه ولكن كان ذلك بداية لوضع حد لهم [2].

2- السبب المالي:

سيطر البرامكة على أموال الدولة ولم يكونوا يترددون في استخدامها لغاياتهم الخاصة وإسرافهم في دفع الأموال جعل الناس ينجذبون إليهم ويفضلون خدمتهم على خدمة الرشيد[3]، ويذكر الجهشياري أن البرامكة فارقوا الرشيد على شيء يطلقونه له من المال للحوادث سوى نفقاته وما يحتاج إليه هو وعياله وإنه قد طلب من جعفر عشرة آلاف درهم فاعتذر إليه ، وبالطبع كان هذا المبلغ زهيد إذا تمت مقارنته بواردات الدولة في عهد الرشيد والتي قدرت بخمسمائة ألف ألف وثلاثين ألف ألف وثلاثمائة ألف واثنا عشر ألف درهم وكان البرامكة ينفقون هذه المال على احتياجاتهم الخاصة ويمنعونه عن الرشيد مما أثار غضبه عند علمه بذلك[4].

[1] ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، ص16.
[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص328.
[3] فياض: تاريخ البرامكة، ص105.
[4] الجهشياري: الوزراء والكتاب ، ص234-250-288.

يبدو أن الأموال كانت قد تجمعت بيد البرامكة فقد قام جعفر البرمكي ببناء دار دفع عليه عشرين ألف ألف درهم وعندما علم الرشيد بذلك قال " هذه غرامته على دار فما ظنك بنفقاته وصلاته وغير ذلك "[1]،حاز البرامكة على الكثير من الضياع الغنية وكان الرشيد إذا سافر لا يمر بضيعة ولا بستان إلا قيل لجعفر[2]،أيضا مما يدل على الاستبداد المالي للبرامكة حجم الهبات التي كانوا يقدمونها لصنائعهم من أموال الدولة، فيذكر الجهشياري أن الفضل بن يحيى وهب لصاحب شرطته أربعة مليون درهم ، وكان قد حصل وهو في كابل على سبعة مليون درهم[3].

3-السبب العنصري:

كان البرامكة ينتسبون إلى الفرس وكانوا يتعصبون للفارسية فعندما أراد الرشيد هدم إيوان كسرى أشار عليه يحيى بألا يفعل ذلك فقال الرشيد له هذا من ميلك إلى المجوسية، وأيضا ظهر تعصب البرامكة للفرس من خلال قيام يحيى بن خالد بمساعدة سهل والد الفضل وزير المأمون الفارسي على عاصم بن صبيح ، وقام بإعادة ضيعته له وكان له دور كبير في تقريب الفضل بن سهل الفارسي من الخليفة المأمون[4]، وهذا يدل على سعي يحيى البرمكي لوجود العناصر الفارسية بكثرة في البلاط العباسي واستحواذهم على كافة المناصب الرئيسية في البلاد وذلك على حساب القوى العربية الأخرى مما أدى إلى كره الرشيد لهم وأحس بخطرهم الفارسي، كما أسس البرامكة حزب فارسي في الدولة فقابلهم العرب بمثل ذلك وأسسوا حزباً عربياً يحول دون استبداد البرامكة ويخفف قوة العنصر الفارسي ترأسته زبيدة زوجة هارون الرشيد[5]،كما حاول البرامكة إبعاد القواد

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 328؛ محمود ، أحمد : العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص106؛ حسن: تاريخ الإسلام ، ج2، ص141.
[2] الدوري: العصر العباسي الأول، ص132.
[3] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص192.
[4] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 229-231-232؛ حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص 142.
[5] فياض: تاريخ البرامكة، ص110.

العرب عن مناصب الدولة فيذكر ابن الأثير حادثة تدل على ذلك حيث قام هارون الرشيد بتعيين واليه على اليمن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني العربي والذي كانت له مكانة كبيرة عند رشيد وتقديرا لذلك تم إرساله لولاية أرمينية وأذربيجان ، أيضا أرسل الرشيد يزيد لقتال الوليد بن طريف التغلبي[1] سنة 178هـ/ 794م واستعمل يزيد اسلوب المخاتلة معه فقام البرامكة بالإيحاء للرشيد بأن يزيد يتحاشى قتاله لما بينهم من صلة الرحم فغضب عليه الرشيد[2] وبذلك حقق البرامكة غايتهم بإقصاء هذا القائد العربي، وبالطبع تكررت هذه الحوادث مع عدة قادة عرب مما أغضب هؤلاء القادة أيضا والذين شعروا بخطر البرامكة واستمر الوضع على ذلك حتى تنبه الرشيد لهذه الفتن وقام بنكبتهم.

4-الوشاية:

لعبت الوشاية دوراً كبيراً في نكبة البرامكة فكان أعدائهم يذكرون للرشيد سيئاتهم، فعندما وجه الرشيد يقطين بن موسى لإفريقيا طلب منه أن يقص عليه قصة حدثه بها إبراهيم الإمام ومما قاله " يا أمير المؤمنين إن إبراهيم الإمام حدثني أن الخامس من خلفاء بني العباس يغدر به كتابه فإن لم يغدر به ويقتلهم قتلوه" ومات يقطين سنة 186هـ/ 802م وأوقع الرشيد بالبرامكة سنة 187هـ/ 803م[3].والبعض يورد أن تدخل زوجة الرشيد زبيدة والفضل بن الربيع الذي عرف بكرهه لهم فبث حولهم العيون ليحملوا إليه أخبارهم وكان هو من وشى بهم للرشيد وأخبره أن جعفر أطلق سراح يحيى بن الحسين[4].

[1] الوليد بن طريف: بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمرو بن مالك الشيباني ، قتل سنة 179هـ/ 795م ،ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج6، ص32.
[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 302-303.
[3] فياض: تاريخ البرامكة، ص114-115.
[4] الطبري: تاريخ الطبري، ج8،ص 289؛ محمود، أحمد: العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص 106-107.

5- السبب النفسي:

يقول بعض المؤرخين أن هناك سبب نفسي كان له أثراً كبيراً في نكبة البرامكة ،ويذكر البعض أنه نوع من الحسد من الرشيد تجاه ماوصل إليه حال البرامكة من عز وجاه وانحياز الناس لهم وإقبال الناس عليهم وكثرة اتباعهم ،ولذلك بعضهم يلوم الرشيد ويتهمه بالقسوة والعنف وأحيانا بالغدر ولكن يبقى هذا السبب أضعف الأسباب السابقة لأن النكبة لم تكن وليدة لحظة طيش وغضب من الرشيد على وزرائه بل كانت حدثا خطط له الرشيد قبل ستة سنوات من وقوعه حيث اتخذ الرشيد اجراءات تسحب السلطة منهم بالتدريج[1]، لذلك في سنة 187هـ / 803م أمر الرشيد خادمه مسرور بقتل جعفر ولكن مسرور طلب من الرشيد تأجيل الحكم فعاد إليه مسرور ثلاث مرات يسأله عما إذا كان متأكد من قراره ، وفي المرة الثالثة قال الرشيد له" نفيت من المهدي إن انت جئتني ولم تأتني برأسه لأرسلن إليك من يأتيني برأسك أولا وبرأسه آخرا"[2].ويلاحظ من إصرار الرشيد أن قراره بقتل جعفر لم تكن وليدة طيش وغرور بل جاء نتيجة تفكير طويل ، ثم وجه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع أولاده وأمواله ولم يفلت منهم أحد[3] وأمر الرشيد بحبس يحيى والفضل في الكوفة ومصادرة أموالهم[4]، توفي يحيى في السجن سنة 190هـ/ 806م والفضل سنة 193هـ/ 809م[5].

[1] فياض: تاريخ البرامكة، ص113.

[2] الطبري : تاريخ الطبري، ج8، ص 294-295.

[3] لم ينجو منهم سوى محمد بن خالد لتبرئته مما فعل أقاربه، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4،ص 36.

[4] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص235.

[5] ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت 808هـ /1405م) :العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ، دار جمال، د ت ،ج5، ص 476؛ فياض: تاريخ البرامكة، ص 117؛ بينما يذكر حسن إبراهيم حسن أن قتل جعفر البرمكي كان في سنة 177هـ /793م وهو في السابعة والثلاثين من عمره، حسن: تاريخ الإسلام ،ج2، ص142.

6-أثر نكبة البرامكة على الدولة العباسية:

لم يستطع الفضل بن الربيع الذي خلف البرامكة في الوزارة أن يدير شؤون الدولة كما كان البرامكة الذين عرفوا بجدارتهم وقوتهم وحنكتهم السياسية ، وعلى الرغم من محاولته التشبه بهم إلا انه لم يمتلك القدة على اللحاق بهم[1]، وقد ندم الرشيد على قتلهم فالوشاة والحساد حملوه على قتلهم ووعدوه بأن يكونوا أفضل منهم وأن ينهضوا بالبلاد فما كان ذلك وكان كلام من دون أفعال ولم يستطيعوا اللحاق بالبرامكة والوصول إلى حنكتهم وكفاءتهم السياسية ، بالنسبة لأثر سقوط البرامكة فقد تمثل بإثارة روح التعصب العنصري وظهر ذلك في النزاع بين الأمين والمأمون الذي كان في الحقيقة نزاع بين العرب والفرس ، ويشير البعض إلى أن الرشيد بنكبته للبرامكة فقد زهرة الدولة العباسية فقد كانوا وزراء إن كتبوا أجادوا وإن قادوا الجيوش سدوا الثغور وإن عملوا أصلحوا وبذلك فقد سندا مهما لحكمه[2].

يعتقد البعض أن أمتناع الروم عن دفع الجزية كان مرتبط بنكبة البرامكة وذلك لشعورهم بضعف الخلافة العباسية والاضطرابات داخلها ، وكانت هذه الجزية قد فرضها الرشيد على نقفور سنة 187هـ/ 803م ولكن مع نكثه للعهود عاد الرشيد وأرغمه على دفع الجزية من جديد[3].

يزعم البعض أيضا أن فتنة حلت بخراسان بعد مقتل البرامكة ولكن هذا غير صحيح على الأغلب ولم تكن بسبب البرامكة بل لأن خراسان كانت تشكو من ظلم عيسى بن ماهان

[1] ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج4، ص40.
[2] يذكر ابن خلدون " كانت البرامكة من محاسن العالم ، ودولتهم من أعظم الدول، وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتهما" ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج5، ص 476؛ فياض: تاريخ البرامكة، ص130-131.
[3] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص313.

الذي كان يقدم الهدايا للرشيد للتغاضي عن أفعاله ولكن لم يستطع أهل خراسان التحمل فأعلنوا ثورتهم وهنا اضطر الرشيد لعزله وتعيين والي جديد مكانه[1].

من خلال بعض ماتم ذكره يلاحظ أن الضعف لم يتسرب للدولة العباسية بعد نكبة البرامكة ولكن يجب الملاحظة أن حالة الدولة العامة قد امتد إليها شيء من الضعف خلال وزارة البرامكة فتدخلت النساء في شؤون الحكم كالخيزران ، وتباطئ الرشيد في مراقبة عماله وترك كل ذلك للبرامكة الذين أغفلوا عنه كثير من الأمور وحتى الرشيد نفسه تغاضى عن كثير من تصرفات وظلم ولاته ودليل ذلك عيسى بن ماهان والي خراسان الذي قدم الهدايا للرشيد للتغاضي عنه وعن أفعاله وظلمه لأهل خراسان، أيضا يلاحظ عدم امتلاك الحنكة السياسية الكافية من الرشيد من خلال فرض اكتفائه بفرض الجزية على البيزنطيين في وقت كان يمتلك قوة عسكرية واقتصادية كبيرة تجعله قادر على المواجهة والحصول على شروط أفضل للصلح مع البيزنطيي.

7- خاتمة:

من خلال هذا البحث المتواضع عن البرامكة وتاريخهم السياسي المختصر ونكبتهم ومحاولة ذكر أهم الأسباب يلاحظ أنه تميز وجود البرامكة السياسي بثلاث ميزات هي بقاء هذه الأسرة مدة طويلة في خدمة العباسيين والتطور السياسي الكبير الذي حققته تلك الأسرة والذي بدأ من دور عادي في الحركة العباسية إلى تولي المناصب الأساسية في الخلافة العباسية ، والعلاقات الجيدة مع الخلفاء باستثناء فترات تعرضوا فيها للمضايقات[2]، ويبدو أن العباسيين الكارهين للأمويين حاولوا البحث عن حليف قوي لهم ضد الأمويين الكارهين لبقية العناصر الغير العربية ولم يجدوا أفضل من الفرس لتحقيق

[1] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص 319؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج5، ص470

[2] عباس (رندة) : تاريخ الدولة العربية(العصر العباسي الأول)، جامعة تشرين، 2017م ، ص87.

غاياتهم ومصالحهم ولذلك اعتمدوا عليهم بسبب احساس العباسيون عامة والرشيد خاصة بضرورة الاعتماد عليهم وتقريبهم وبالتالي انتهت العلاقة بين الجانبين بانتهاء المصلحة والمنفعة ، ولم يكن البرامكة أول الحلفاء الفرس الذين تخلص منهم العباسيون وذلك بسبب ازدياد خطرهم وتدخلهم في الخلافة كأبي سلمة الخلال وأبو مسلم الخراساني ، وعلى الرغم من قدرة البرامكة على ضبط شؤون الخلافة إلا أنه لا بد من الإشارة إلى استبدادهم بالأمور والقرارات السياسية ومشاركة الخليفة في حقوقه وحصولهم على الأموال الطائلة بغير وجه حق، وهنا يتم التساؤل ماذا لو يتم نكبة البرامكة؟ هل كانوا سيحاولون سحب الخلافة من الرشيد والعباسيين؟ أم كانوا سيكتفون بالأموال التي حصلوا عليها وسيحاولون دعم العنصر الفارسي الذي ينتمون إليه والذي سيشكل خطرا على الخلافة فيما بعد بطريقة مباشرة وبقوة أكبر؟

نتائج البحث:

من خلال هذا البحث المتواضع تمت محاولة تقديم لمحة موجزة عن البرامكة وأصلهم ونسبهم وكيفية وصولهم إلى الخلافة في بغداد ومدى قدرتهم في التأثير على الخلفاء ، وذكر أهم الأسباب التي ادت إلى الإطاحة بهم والقضاء على نفوذهم الذي تعاظم بشكل كبير حتى أنهم أصبحوا الرأس المدبر للأحداث في البلاد ، وربما كان ذلك ما أزعج الخلفاء ودفعهم لنكبتهم والقضاء عليهم .

المصادر والمراجع المستخدمة في البحث:

المصادر:

1- الأتليدي(محمد دياب ت 1100هـ/ 1688م): إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، دار صادر ، بيروت، 1990م.

2-ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت 630هـ / 1232م) : الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

3-الجهشياري(أبو عبدالله محمد بن عبدوس ت 331هـ/ 943م): الوزراء والكتاب ،تح: مصطفى السقا' عبدالحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة، 1938م .

4-الحموي(شهاب الدين ياقوت بن عبدالله ت 623هـ/ 1226م): معجم البلدان ،دار صادر، بيروت ، 1977م.

5-الخصيبي (أبو عبدالله الحسين بن حمدا ت 334هـ/ 945م): الهداية الكبرى، دار البلاغ ، بيروت، 1993م.

6-الخطيب البغدادي(أبي بكر أحمد بن علي ت 463هـ/ 1070م): تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى 463هـ المعروف بتاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1967م.

7-ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت 808هـ /1405م) :العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ، دار جمال ،د ت.

8- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت 808هـ /1405م) : مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

9- ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد ت 681هـ/ 1282م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر ، بيروت.

10-أبو السرور (أبو الحسن علي بن أبي عبدالله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن الروحي د ت) : كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تح ، محمد زينهم محمد عزب ، بورسعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ت.
11-السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ /1505م) : تاريخ الخلفاء ، إشراف ، محمد غسان نصوح عزقول الحسيني ، قطر ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط2 ، 2013م .

12-ابن طباطبا (محمد بن علي الملقب ابن الطقطقي ت 709هـ/1309م): الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر ، بيروت، د ت .

13-الطبري(محمد بن جرير ت 310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر، د . ت.
14-ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت580هـ --1185م) : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تح ، قاسم السامرائي ،القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ط1 ، 1999م .
15-ابن الفقيه(أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني): كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ/ 1884م.
16-ابن المعتز(عبدالله بن المعتصم بن هارون الرشيد ت 296هـ/ 909م): طبقات الشعراء ، تح: عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، 1956م.
17-المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين ت 346هـ / 957م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م.

قائمة المراجع:

1-بيطار(أمينة): تاريخ العصر العباسي ، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2006-2007م .

2-الثعالبي (عبد العزيز) : سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية 132هـ/750م ، تح ، حمادي الساحلي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1995م .

3-حسن (إبراهيم حسن):تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجبل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996م .

4-الدوري(عبدالعزيز): العصر العباسي الأول -دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط3، 1997م،

5- عباس (رندة) : تاريخ الدولة العربية(العصر العباسي الأول)، جامعة تشرين، 2017م ،

6-عطوان(حسين): الدعوة العباسية -مبادئ وأساليب ،دار الجبل ، بيروت،د ت.

7-فرج(هولو جودت): البرامكة – سلبياتهم وإيجابياتهم، دار الفكر اللبناني، بيروت،ط1 ، 1990م.

8-القحطان(محمد)، طاهر الدين(محمد): هارون الرشيد الخليفة المظلوم، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001م .

9-قدورة(زاهية): الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1972م .

10-محمود(حسن أحمد)، الشريف(أحمد إبراهيم): العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، د ت .

Sources and references used in the research

: Sources:

1- Al-Atlidi (Muhammad Diab, d. 1100 AH / 1688 AD): informing people of what happened to Baramkeh with Banu al-Abbas, Dar Sader, Beirut, 1990 AD.

2- Ibn al-Atheer (Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad d. 630 AH / 1232 AD): al-Kamil fi al-Tarikh, edited by: Muhammad Yusuf al-Daqqaq, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1987 AD.

3- Al-Jahshiari (Abu Abdullah Muhammad bin Abdus, d. 331 AH / 943 AD): Ministers and Writers, t.: Mustafa Al-Sakka' Abdul Hafeez Shalabi, Mustafa Al-Babi Press, Cairo, 1938 AD.

4- Al-Hamawi (Shehab al-Din Yaqut bin Abdullah, d. 623 AH / 1226 AD): Mu'jam al-Buldan, Dar Sader, Beirut, 1977 AD.

5- Al-Khasibi (Abu Abdullah Al-Hussein bin Hamda, d. 334AH/945AD): Al-Hedaya Al-Kubra, Dar Al-Balagh, Beirut, 1993.

6- Al-Khatib Al-Baghdadi (Abu Bakr Ahmed bin Ali d. 463 AH / 1070 AD): The History of Baghdad or the City of Peace since its founding until 463 AH, known as the History of Baghdad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1967 AD.

7- Ibn Khaldun (Abd al-Rahman bin Muhammad bin Khaldun, d. 808 AH / 1405 AD): Lessons and the Diwan of the Beginner and the News in the Days of Arabs, Non-Arabs, Berbers and Their Contemporaries with the Greatest Sultan, Beirut, Dar Jamal, d.

8- Ibn Khaldun (Abd al-Rahman bin Muhammad bin Khaldun, d. 808 AH / 1405 AD): Introduction to Ibn Khaldun, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, d. T.

9-Ibn Khalkan (Shams al-Din Ahmed bin Muhammad d. 681 AH / 1282 AD: The deaths of notables and the news of the sons of time, Dar Sader, Beirut.

10- Abu al-Surour (Abu al-Hasan Ali bin Abi Abdullah Muhammad bin Abi al-Surour bin Abdul Rahman al-Rouhi d.): a book in the language of the witty In Memory of the Dates of the Caliphs, T., Muhammad Zeinhom Muhammad Azab, Port Said, Library of Religious Culture, Dr. T

. 11-Suyuti (Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr al-Suyuti, d. 911 AH / 1505 AD): The History of the Caliphs, supervision, Muhammad Ghassan Nasouh Azgoul al-Husseini, Qatar, Publications of the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, 2nd Edition, 2013.

12- Ibn Tabataba (Muhammad bin Ali, nicknamed Ibn al-Taqtaki, d. 709 AH / 1309 AD): Honorary in Royal Literature, Dar Sader, Beirut, d.

13- Tabari (Muhammad bin Jarir d. 310 AH / 922 AD): History of the Messengers and Kings, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maaref, Egypt, Dr. T.

14-Ibn Al-Omrani (Mohammed bin Ali bin Muhammad t. 580 AH --1185AD): The news in the history of the Caliphs, ed., Qasim Al-Samarrai , Cairo, Arab Horizons House, I 1, 1999.

15- Ibn al-Faqih (Abu Bakr Ahmed bin Muhammad al-Hamadhani): Kitab al-Buldan, Brill Press, Leiden, 1302 AH / 1884 AD.

16- Ibn al-Moataz (Abdul Allah bin Al-Mu’tasim bin Harun Al-Rashid, d. 296 AH / 909 AD): Layers of Poets, edited by: Abdul Sattar Ahmed Farraj, Dar Al Maaref, Egypt, 1956 AD.
17- Al-Masoudi (Ayo Al-Hassan Ali Bin Al-Hussein, d. 346 AH / 957 AD): Meadows of Gold and Minerals of the Core, Al-Asriya Library, Beirut, 2005 AD

List of references:

1-Abbas(Randa):History of the Arab stat ,the first Abbasid Era ,Tishreen University,2017 AD.

2- Atwan (Hussain): The Abbasid Call – Principles and Methods, Dar Al-Jabal, Beirut, d. T.

3- Bitar (Amina): History of the Abbasid Era, Damascus University Publications, Damascus, 2006-2007 AD.

4- Al-Douri (Abdul-Aziz): The first Abbasid era - a study in political, administrative and financial history, Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, Beirut, 3rd Edition, 1997 AD.

5- Faraj (Holo Jawdat): Al-Baramkeh - Their Negatives and Positives, Dar Al-Fikr Al-Lebanese, Beirut, 1st Edition, 1990 AD.

6- Hassan (Ibrahim Hassan): History of political, religious, cultural and social Islam, Dar Al-Jabal, Beirut, Egyptian Renaissance Library, Cairo, 14th edition, 1996 AD.

7- Kaddoura (Zahia): Populism and its social and political impact on Islamic life in the first Abbasid era, Lebanese Book House, Beirut, 1972 AD.

8- Mahmoud (Hassan Ahmed), Sharif (Ahmed Ibrahim): The Islamic World in the Abbasid Era, Arab Thought House, Cairo, 5th edition, d.

9- Al-Qahtan (Muhammad), Taher Al-Din (Muhammad): Harun Al-Rashid, the oppressed Caliph, Dar Al-Iman, Alexandria, 2001 AD.

10- Al-Thalabi (Abdul Aziz): The Fall of the Umayyad Dynasty and the Establishment of the Abbasid State 132 AH / 750 AD, Hammadi al-Sahili, Beirut, Dar al-Gharb al-Islami, 1, 1995 CE.